جامعة الجيلالي بونعامة . خميس مليانة .
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم التاريخ

محاضرات مقياس: تاريخ المغرب العربي الحديث (السداسي1)
(السنة: الثانية ليسانس) 2021-2022م

المحاضرة الأولى :الغزو البرتغالي للمغرب الأقصى ورد الفعل المغربي على ذلك

في الوقت الذي كانت الدولة المغربية تتفك و تحل الإقليمية محل الوحدة كانت الدولة البرتغالية الحديثة تتكون وتتحد و أدت الثورة التي تزعمها دون خوان بعد ميلاد الشعور القومي البرتغالي من خلال الصراع مع المسلمين و اتسم بالسمة الدينية

أسباب الغزو البرتغالي :

يفسر بعض الباحثين البرتغاليين توجه البرتغال نحو التوسع البحري و الهجوم على المغرب في القرن الخامس عشر لاسبابأهمها :

– تزايد عدد السكان النسبي و عدم القدرة على التوسع القاري على حساب قشتالة القوية بالإضافة نقص القمح و الطلب المتزايد على المنتوجات و البحث على أراضي جديدة صالحة لزراعة قصب السكر و البحث على مجال للنشاط و هذا مادفعهم الى احتلال سبتة سنة 1415وجزرماديرا 1418 وجزر اثور 1432 و استكشاف الشاطئ الافريقي للوصول الى بلاد السودان

– ان الغزو البرتغالي كان رد فعل على القرصنة المغربية التي نشطت في أواخر القرن الرابع عشر و الخامس عشر واخذت طابع الجهاد البحري و البري ضد أولئك الذين طردوا المسلمين من الاندلس و هنا يفسر المؤرخين سبب هجوم الاسبان على تطوان عام 1399 و الهجوم البرتغالي على انفا

– قيل ان الغزو البرتغالي كان امتداد لحرب الاسترداد و جزء من النضال ضد مسلمي الاندلس و الروح الصليبية التي كانت سائدة اثارت نفوذ الكنيسة و واصبح ملك البرتغال يصرح ان الميدان الحقيقي لذي يكسب فيه افراد البيت المالك الفخار هو الحرب المقدسة ضد المسلمين في المغرب

– أسباب اقتصادية : لقد عصفت بأروبا ازمة اقتصادية حادة وسعت البرتغال للبحث عن الذهب و مناجمه التي يقال انها موجودة في الهند العظمى و قد لعب المغرب دور مهما في الاقتصاد البرتغالي و اقتصاد الإمبراطورية البرتغالية بقمحه و صوفه و خيله

– أسباب استراتيجية :

ا– تركز اهتمام البرتغالي بالمغرب في المرحلة الأولى بين 1415و 1486على الشمال لإشرافها على الطريق البحري بين جنوب اروبا و شمالها الغربي عبر مضيق جبل طارق كما انها كانت قاعدة للقرصنة المغربية و يهددون منها السفن الأوربية حيث استولوا على القصر عام 1458 و في عام 1471 استولوا على اصيلا و طنجة فسيطرو بذلك على الطرف الغربي من المضيق

– تمركز النشاط البرتغالي في المرحلة الثانية 1515/1486 على الجنوب اثر نجاحهم في افريقيا ووصولهم الى الهند حيث استولوا على اغادير عام 1505 و اسفي 1508 و ازمور 1513 و بنوا قلعة مازاغان 1514و لم يبقى للمغاربة من الموانئ المهمة على الأطلسي سوى سلا

اكتفى البرتغاليون بالسيطرة على السواحل و كانت سياسة الاحتلال المقصورة هذه جزء من سياستهم الاستعمارية في امبراطوريتهم كلها فقد كانت امبراطورية هامشية ساحلية يحميها الاسطول البرتغالي و كانت محاولتهم للتوغل نحو الداخل عبارة عن حملات وقائية او غارات تاديب و نهب و كان توغلهم في الشمال محدودا بسبب الكثافة البشرية و المقاومة الشديدة الحكومية و الشعبية و لكن توغلهم في الجنوب كان واسعا حيث وصلوا الى أبواب مراكش

– نتائج الغزو البرتغالي (على الصعيد المغربي):

ا– أدى الغزو الى اثارة المشاعر الدينية و الوطنية لدى المغاربة أدت بدورها بسبب عجز السلطات الوطاسية الى ظهور قيادات دينية وطنية ابرزها الاشراف السعديين الذين نجحوا الوصول الى ال

ب– اسهم الغزو البرتغالي في تعاظم الازمة السياسية و الاقتصادية في المغرب لإصرار البرتغاليين على شراء المنتجات المغربية مما أدى الى ظهور مجاعات كبيرة في المغرب سنة 1542/1541/1521وظهور القوة السعدية التي منعت التعامل معهم

رد الفعل المغربي علىهذا الغزو:

استغل البرتغاليين ضعف المرينينو الصراع القائم بين افراد الاسرة الحاكمة فاستولوا على سبتة سنة و أدى عجز المرينينعلى صدهم الى قيام ثورة قضت على الاسرة المرينيةباستثناء طفل صغير "عبد الحق " وقد استغل بنو وطاس وهم فريق من قبائل زناتة تربطهم ببني مرين روابط القربى و المصاهرة و المصلحة فتبنوا القضية المرينية و استولوا على السلطة من سنة 1420 الى 1554وقد مر حكم الوطاسيينبمرحلتين :

ا- مرحلة الوصاية 1458/1420

تميزت هذه الفترة :

ا- بنجاحالوطاسيين و الحاق الهزيمة الكبرى بالبرتغاليين حاولوا الاستيلاء على طنجة سنة 1437 و اجبروا القوات المهاجمة الو قد برزت فعلا برتغالية على الاستسلام

ب- انبعاث الروح الدينية الوطنية في المغرب و ظهور القوى الصوفية التي اطلقت صيحة الجهاد ضد الغزاة و التي انتقلت الى المغرب من المشرق في عهد الدولة المرابطية وقد برزت فعلا هذه الطرق الصوفية في عهد الموحدين و ابرزها الشاذلية و القادرية

ج- لم يكن لدى الوطاسيينقوة سند ملتزمة و لا أسلوب عمل جديد و كانوا مظطرين الى الاعتماد على بعض القبائل العربية غير الملتزمة مقابل امتيازات و إعفاءات ضريبية

و استطاع محمد الشيخ الوطاسي و أخيه محمد الحلو ان يسلما من هذه المؤامرة و قام محمد الشيخ بالاستيلاء على اصيلا

ب- مرحلة الحكم الوطاسي المباشر 1472/ 1554

في هذه المرحلة توجه محمد الشيخ سنة 1471 نحو فاس للقضاء على الادارسة و استغل البرتغاليين هذا الصراع فهاجموا اصيلا و كان محمد الشيخ بين الجهاد ضد البرتغالين لاسترجاع اصيلا و بين الصراع ضد الادارسة لاسترجاع مدينة فاس و استطاع استرجاع مدينة فاس و لكن اصيلا و طنجة بقيت بيد البرتغاليين و امتنع محمد الشيخ الوطاسي من تقديم المساعدة لمسلمي الاندلس و بعد سقوط غرناطة ظهر حقد الاندلسيين على اسبانيا و الوطاسيين بالإضافة الى الفتور الكبير في استقبالهم اذ تحولوا الى قوة معارضة خطرة مع تواصل استيلاء الاسبان على

بعض المناطق المغربية و هكذا اتسم الحكم الوطاسي المباشر بالعار و الفاشل و التخلي عن الجهاد مما افقدها هيبته امام المغاربة الذين اصبحوا يبحثون ويتطلعون الى قيادة جديدة

بعدها خلف محمد الشيخ ابنه محمد البرتغالي – سمي كذلك نسبة الى سبعة سنوات التي قضاها في البرتغال اثناء حصارهم لمدينة اصيلا وأراد الانتقام لأسرته لكنه فشل في تحرير مدينة اصيلا وطنجة واستمر التوغل البرتغالي نحو الجنوب وفي هذه الاثناء برزت القوة السعدية وتكونت لديها قوة دعم معنوية ضد البرتغال وسعى اثنين من أبناء الزعيم السعدي القائم بأمر الله السعدي وهما احمد الاعرج و محمد الشيخ و توجها الى فاس و ساعدها في مواجهة البرتغاليين

المحاضرة الثانية : المغرب والسلطة السعدية الشريفة (الصراع السعدي الوطاسي و الصدام السعدي العثماني)

يعود اصل الاشراف السعديين الى مدينة ينبع و قدموا الى المغرب في بداية القرن الثالث عشر ميلادي و استقروا في وادي درعة او واد الدراع في قرية جنوب المغرب تدعى تاكمادرت و تذكر المصادر ان نسب السعديين شريف ينحدرون لمحمد النفس الزكية بن عبد الله الكامل بن حسان المثنى بن حسان البسط بن علي بن ابي طالب و هناك من قال ان السعديين بني عم السادة العلويين اشراف سجلماسة (تافيلالت) و هناك من قال انهم ينتمون الى قبيلة بني سعد قبيلة حليمة السعدية مرضعة الرسول ﷺ و مهما كان حول نسب السعديين فان اول من هاجر من الحجاز الى المغرب من اجداد السعدين هو المولى زيدان بن احمد الذي نزل درعة و ظل اسلافهم مقيمين بها الى ان ظهر منهم أبو عبد الله القائم بامر الله اول السلاطين بالمغرب

دعى القائم بامر الله السعدي السكان للجهاد ضد البرتغاليين في قرية فونتين قرب اغادير و قد احرز المغاربة نجاحا اوليا أدى الى التفافهم حول القائم بامر الله و في توفي القائم وخلفه ابنه احمد الاعرج و تولى اخوه محمد الشيخ امر السوس استانف الاعرج النضال ضد البرتغاليين و نجح السعديين في تحقيق نجاحات و بين عام 1525/1523 استولى احمد الاعرج على مراكش احدى العواصم التاريخية الكبرى و تعتبر أولى الخطوات في مسيرة السلطة

الصراع السعدي الوطاسي :

لم يظهر الوطاسيون أي انزعاج للتحركات السعدية الأولى بسبب انشغالهم بمشاكلهم في الشمال و خروج الجنوب المغربي واقعيا عن سلطتهم و عجزهم عن العمل في هذه المناطق و لان

التحرك السعدي في مظاهره الأولى كان موجها ضد البرتغاليين بصورة أساسية ومن قبائل خارجة عن طاعة الوطاسيين وكان السعديون يعملون بحذر و يحرصون على تجنب كل ما يثير خاطر الوطاسيين و يظهرون ولائهم للسلطة الوطاسية

و فيايطار هذه السياسة الحذرة اتجه احمد الاعرج و محمد الشيخ في طريق عودتهما من الحج الى فاس و حثا السلطان الوطاسي على الجهاد وهذا الأخير ايدهما و كلفهما بدعوة الناس الى الجهاد مما هيا لهما فرصة التنقل في بلاد المغرب بحجة الدعوة الى الجهاد الامر الذي اكسبهما سمعة طيبة

و بدأت تحركات احمد الاعرج تثير شكوك الوطاسيين اثر دخول السعديين الى مدينة مراكش و الذي كان منعطفا مهما في العلاقات بين السعديين والوطاسين و كان احمد الاعرج حذرا و لم يشأ ان يكون البادئ في الصدام حرصا على مداراة الراي العام المغربي الذي كان معبأ بفضل الزعامات الصوفية و يترك بداية التحرك للوطاسيون

كان احتلال مراكش بمثابة انذار للوطاسيين وما زاد قلق الوطاسين نشاط احمد الاعرج الديبلوماسي فقد عمل على تنظيم تحالف مرابطي منهم مرابطي الدلاء مع مرابطي الريف الذين كانوا يتمتعون بسمعة طيبة بسبب كرههم للوطاسيون ولان احمد الاعرج شاركهم في الجهاد لاسترجاع طنجة و اصيلا و جراء هذا كله كان لابد من الوطاسيين التحرك اذ حاصروا مراكش لكن بفضل النشاط المرابطي – الشيخ الغزواتي – الذي كان ناقما على الوطاسيين حيث قاوموهم و سجنوا السلطان احمد الوطاسي في فاس فشلت المحاولة و اضطر السلطان الوطاسي الى فك الحصار و استأنف الصراع عام 1528فجرت معركة انماي غير الحاسمة التي انتهت بالصلح

و في عام 1537 استعد احمد الاعرج للتحرك نحو فاس و جرت معركة في واد العبيد في مشروع بوعقبة لقي فيها الوطاسيون هزيمة ساحقة لكن القوى المرابطية ادركت خطورة هذا الصراع الوطاسي السعدي و تاثيره على الجهاد ضد العدو الخارجي و توسطت بين الطرفين و قام عدد من العلماء بالمفاوضات و رغم تشدد السعديين الا انه تم الاتفاق على ان تكون كل المناطق الواقعة بين تادلا الى السوس للسعديين

اما في عهد محمد الشيخ و في خضم هذا الصراع السعدي الوطاسي نجح السعديين في استرجاع اغادير سنة 1541 و ترتب على ذلك اخلاء البرتغال لأسفي و ازمور حيث زال خطرهم في الجنوب و صار بإمكان السعديين التوجه لاحتلال المغرب الشمالي و تمكنوا من استقبال التجار الأجانب و خاصة البريطانيين و الفرنسيين و الحصول على الأسلحة الحديثة كما ان هذا النجاح الذي حصل على يد محمد الشيخ اكسبه سمعة جيدة واسلحة حديثة ساعدته في الصراع الذي نشب بينه وبين أخيه احمد الاعرج حيث يرى الافراتي ان الدسائس هي التي فرقت بين الاخوين و يرى البعض الاخر من المؤرخين ان الخلاف حول اقتسام غنائم اغادير فالخلاف نشب قبل سقوط اغادير لكن القطيعة النهائية و الصدام الحاسم وقعا بعد سقوط اغادير و رجحت كفة محمد الشيخ الى قبائل السوس حيث لقي تأييدا منها لأنه عرف خلال ولايته لإقليم الجنوب كيف يكسب ودها و محبتها و انسحب احمد الاعرج الى تافيلالت و حسم الامر بين الاخوين بسرعة

و في 1545 استأنف السعديون نشاطهم و طالبوا بإقليم تادلا و زحفوا عليها و نشبت معركة بين الوطاسيين و السعديين على ضفاف وادي ادرنة احد روافد نهر ام الربيع و انتصر محمد الشيخ ثم برزت شخصية أبو حسون الوطاسي و قد ادرك هذا الأخير ان القوى قد تحول الى جانب خصومه فقرر ان يستعين بالعثمانيين فاعلن ولاءه للسلطان العثماني فقبل السلطان سليمان ولاء الوطاسيين بسرور كبير لانه يريد توطيد مركز العثمانيين في شمال افريقيا حيث ارسل سفيرا الى مراكش و طلب من محمد الشيخ ان يحذوا حذو ابي حسون حيث رفض هذا الأخير و اهان المبعوث العثماني فاتحا بذلك صفحة العداء مع الدولة العثمانية

قدم السلطان الوطاسي عدة تنازلات لمحمد الشيخ مقابل اطلاق سراحه و استولى محمد الشيخ على فاس بحصارها سنة 1549 و اضطر السلطان الوطاسي احمد الى عقد اتفاق مع محمد الشيخ ضمن حياته مع معاملة مشرفة و ضمن الاتفاق ضمان سكان فاس و اقتيد السلطان الوطاسي الى مراكش و دس له السم اما أبو حسون فقد غادر فاس الى بادس في الشمال ثم اضطر الى اللجوء الى الاسبان في مليلا وقد استخدم محمد الشيخ مع الفاسين اللين و الاعتدال فحال دون حدوث نهب او اعمال عنف

الصدام السعدي العثماني :

تسرع محمد الشيخ لمهاجمة المغرب الأوسط – الجزائر– قبل ان يستقر به الامر تماما في المغرب و كانت تلمسان ماتزال بيد الزيانيين الذين كانوا بسبب ضعفهم يتقلبون في ولاءهم بين

الاتراك و الاسبان و كانوا تحت حماية الاسبان وتطلعت انظار الناقمين في تلمسان على سياسة الزيانيين الموالين للكفار نحو محمد الشيخ فطالبوا منه التدخل لانقاذهم فلبى هذا الأخير النداء و ارسل جيشا بقيادة ابنه الحران الذي نجح بواسطة أنصاره داخل تلمسان الى احتلال المدينة و هرب الحكام الزيانيون و لجؤا الى الى الاسبان و بدلا من ان يلاحق الحران الزيانيين الى وهران فيحررها من الاسبان توجه بالرغم من أوامر والده نحو مستغانم التي كانت بيد الاتراك رحب الاسبان بهذا التحول و امتنعوا عن التدخل لصالح اتباعهم الزيانييتاركين مسلمي المغرب يقاتلون مسلمي الجزائر رد حسن باشا بايلرباي الجزائر بعنف و قوة على التحرش السعدي ووجه جيشا الى مستغانم حيث نجح في استعادة المدينة و قتل حاميتها كما قتل الحران و اخا له و اضطر السعديون الى الانسحاب الى ما وراء نهر الملوية

نهاية الصراع السعدي الوطاسي :

كان محمد الشيخ يسعى الى استرجاع بعض المراكز البرتغالية و امام هذا التهديد رأى البرتغاليون ان يضحوا باصيلا حين تدخل ابوحسونالوطاسي مطالبا بها لنفسه على ان يعيدها بعد استرجاع مملكته و لم يكتفي بمساعدة البرتغال بل كان يطمح الى مساعدة اسبانية و رغم محاولات أبو حسون العديدة للمساعدة الخارجية لكنه لم يحظى باية مساعدة فقد كثرت الاضطرابات جراء سياسة محمد الشيخ الضريبية و تزايد الأسلحة الحديثة الفرنسية و البريطانية مما أدى الى اخلاء البرتغال لاصيلا و القصر الصغير و جراء هذه الاحداث و مطالبة اهل فاس لعودة أبو حسون للحكم شجع هذا البرتغاليون على تقديم بعض المساعذات البسيطة للوطاسين

استطاع أبو حسون طرد محمد الشيخ من فاس بمعية الاسطول الجزائري بقيادة صالح ريس و استقبلالفاسيون أبا حسون بحماس لكن الاتراك استغلوا هذه الفرصة و استغلوا أهالي فاس فطردوا منها فوجد أبو حسون نفسه دون عتاد حربي فتحالف مع احمد الاعرج الذي استانف الصراع مع أخيه و نجح محمد الشيخ بالفصل بين الحليفين و تغلب على أخيه و اسره وهزم أبو حسون الوطاسي و قتله و استرد فاس سنة 1554

و لقب محمد الشيخ بالمهدي وقد مارس وسائل البطش جراء الإهانة و الطرد الذي مني به من الاتراك بمدينة فاس و لكنه لم يشعر بالارتياح لانه لم يستطع ان ينسى الاستقبال و الحماس الذي استقبل به أبا حسون بفاس و كان يرى ان في فاس مؤيدين للعثمانيين فقرر العودة الى مراكش عاصمة الجنوب و جعل منه العاصمة المفضلة

المحاضرة الثالثة : سياسة محمد الشيخ الداخلية والخارجية

لم يكن محمد الشيخ مؤسسا للدولة فحسب بل كان المسؤول الأول عن رسم الخطوط العامة لسياسة المغرب الداخلية و الخارجية و ترتكز سياسة محمد الشيخ الخارجية على سياسة حلفائه من بعده على الخوف من الاتراك و كرههم و معاداتهم و قد دفعه هذا بالإضافة الى شعوره بضعفه العسكري إزاء قوة الاتراك الى السعي للتحالف مع الاسبان اعداء الاتراك وبالرغم من ان الطابع الديني كان يلعب دورا في سياسة الحكومتين السعدية و الاسبانية فان العداء المشترك للاتراك و ما يمكن ان نسميه المصلحة القومية دفع الطرفين الى تناسي العداء الديني و الى التحالف الواقعي

و يعود الصراع السعدي التركي الى مرحلة الصراع السعدي الوطاسي حين اعلن الوطاسيون ولائهم للترك ورغبة هؤلاء ان يحصلوا من السعديين على مثل هذا الولاء للسيطرة على المغرب مثل الجزائر مما يعزز موقفهم في الصراع مع الاسبان و جرى اكثر من اتصال لكن موقف محمد الشيخ كان متصلبا وقد رفض بشدة و اظهر احتقارا للسلطان سليمان القانوني و لقبه بسلطان الحواتة ولا شك ان الصدام المبكر في غرب الجزائر ومساعدة الاتراك لابي حسون في استرداد فاس عمق العداء بين الطرفين و لعل اعلان محمد الشيخ نفسه خليفة وتلقبه بالمهدي و امير المؤمنين كان لوضع حدا لاي مزاعم عثمانية و لمجابهة الخطر التركي اتجه محمد الشيخ الى التفهم مع الاسبان و كان هذا بمثابة خلل و خروج عن سياسته الدينية التي قامت عليها دولته و اعتماده لسياسة اسرية

عرض محمد الشيخ على الاسبان مشروع طرد الاتراك من شمال افريقيا لعل في هذا محاولة من السعديين لاحياء تقاليد الدول التي سبقتهم في محاولة بسط سيطرتهم على شمال افريقيا و دارت المفاوضات حول ارسال حملة على مدينة الجزائر و تدميرها لكن الاتراك شعروا بالخطر فسارع صالح ريس بيلرباي الجزائر لاحتلال بجاية و طلب من الباب العالي مساعدات مالية و عسكرية ليهاجم وهران لكنه توفي وهو ينتظر المؤونة ببرج تمنفوستسنة 1556 و استدعت الدولة العثمانية القوات التي أرسلتها الى الجزائر لمجابهة خطر هجوم بحري في البوسفور بقيادة اندري دوريا ثم بعدها قيام اضطرابات في الجزائر استمرت حتى تعيين حسن باشا بن خير الدين سنة 1557

التنسيق بين جهود الحلفاء السعديين و الاسبان كان واضحا فقد هاجم السلطان السعدي تلمسان و بالرغم من استيلائه على المدينة فقد قاومت الحامية التركية في حصن المشور و لما طلب محمد الشيخ من الاسبان امداده بالمدفعية لم يلبوا طلبه بسبب غياب حاكم وهران وعمد حسن باشا الى

التخلص من محمد الشيخ بالخديعةبامر من السلطان العثماني سليمان القانوني و كلف واحدا من خيرة ضباط – صلاح كاهيا– بتدبير اغتيال محمد الشيخ تظاهر صلاح كاهيا انه هارب من الجيش التركي و لجا الى محمد الشيخ في تلمسان و رحب به وضمه الى صفوفه و نجح صلاح كاهيا في اغتيال محمد الشيخ سنة 1557وتلتقي سياسية محمد الشيخ المالية التي اتبعها حلفائه من بعده في تاثيراتها السلبية على سياستها الخارجية بالرغم ان السعديين استعادوا الاشراف على تجارة القوافل الافريقية و اعادو بذلك للمغرب عامة و للجنوب المغرب نشاطه الاقتصادي الذي أصيب بضربة قاسية بالرغم من هذا فان سياسة محمد الشيخ الضرائبية كانت لها هدف تجاري وعسكري حيث ان السعديونكانو بحاجة الى إيجاد جيش يعتمدون عليه ولايجاد هذا الجيش كان لابد لهم من المال و يقول الافراني ان محمد الشيخ اضطر الى الاكثار من الاجناد لمقاومة الأعداء وحماية الدين وثغور المسلمين فدعى تضاعف الاجناد الى تضاعف العطاء و تضاعف العطاء الى تضاعف الخراج و تضاعف الخراج الى الاجحاف بالرعية و كان قسم كبير من البلاد أيام المرينينالمتاخرين و الوطاسين معفيا من الضرائب او ممتنعا عن دفعها و قد سعى محمد الشيخ الى الغاء هذه الإعفاءات واجبار الممتنعين عن دفع الضرائب على دفعها

و محمد الشيخ اول من استخرج الضريبة المسماة على لسان العامة بالناييةو فرض على الناس المغارم و المطالب ولم يسلم منها احد , و كانت ضريبة الخراج مفروضة مفروضة على سكان السهول في حين سكان الجبال عن دفعها و اصروا على الامتناع عن دفع هذه الضريبة و استصدر محمد الشيخ فتوى تقضي ان يدفع سكان الجبال كما اكره محمد الشيخ المرابطين – شيوخ الزوايا والطرق الصوفية – على دفع هذه الضريبة و قد أدت هذه السياسية الى ثورات القبائل في الجنوب و الجبال و الى تصدع العلاقات مع القوى المرابطية التي كانت تشكل قوة دعم أساسية للسعديين و قد استخدم محمد الشيخ القوة و القسوة مع معارضيه من زعماء القبائل و المرابطين و قد شمل هذا الاضطهاد عدد من الشخصيات البارزة كما طالب محمد الشيخ أصحاب الزوايا برد الودائع التي تلقوها من بني مرين

وهكذا نسف السعديون (محمد الشيخ) القاعدة التي كان لها الفضل في قيام الدولة السعدية وهي القاعدة المرابطية و الدور الذي قامت به لاجل ذلك بعد ان نسفوا قاعدة الجهاد و التي أصبحت حكرا على السعديين والحليف الاسباني على حساب القوى الشعبية و الدولة العثمانية (الاتراك)

المحاضرة الرابعة : سياسة عبد الله الغالب بالله و محمد المتوكل و عبد الملك

- عبد الله الغالب بالله 1574/1557 :

كان عبد الله الغالب في حياة والده حاكما على فاسو حين قتل الاتراك والده بويع دون ان يلقى مصاعب و تلقب بالغالب بالله انتقل مولاي عبد الله من فاس الى مراكش لان انصار العثمانيين كانوا كثيرين في فاس كان مولاي عبد الله قاسيا إزاء اسرته قتل بعضهم وهرب ثلاثة من اخوته (عبد الملك و احمد و عبد المؤمن) الى الجزائر و منح ولاية العهد لابنه محمد

تابع عبد الله الغالب سياسة والده الخارجية و الداخلية بذا عهده بصد هجوم عثماني شنه الاتراك بتحريض امير دبدوا اللاجئ اليهم و نجح بالحاق الهزيمة بالاتراك سنة 1558 و قد حاول حاكم وهران الكونت دالكودات استغلال هزيمة الاتراك هذه فهاجم الاتراك في مستغانم معتمدا فيما يبدوا على استمرار التحالف المغربي الاسباني و لكن الغالب لم يتدخل و فشل الهجوم الاسباني فشلا ذريعا عام 1558 و في سنة 1560 استغل الغالب بالله الصراع بين الاتراك و زعماء القبائل من بني عباس الذين كانوا حلفاء للاسبانو تعاون الغالب مع الاسبان فجاء اسطول اسباني الى المياه الجزائرية في حين استولى السعديون على تلمسان و لكن الاسطول الجزائري هزم الاسطول الاسباني فسارع السعديون الى الانسحاب من تلمسان في حين كان الاتراك يحتلون حجر بادس و استخدمتها البحرية الجزائرية قاعدة ضد السفن الاسبانية و البرتغالية و قد أشار السفير الفرنسي في مدريد في رسالة الى الملك شارل التاسع الى أهمية الجزيرة و موقعها الاسترتيجي سواء كان بالنسبة لساحل المغرب الشمالي ام بالنسبة للسواحل الاسبانية وتطرق الى الاعمال التي التي كان يقوم بها يحي ريس الذي عينه بايلرباي الجزائر حسن باشا حاكما عليها و لقب يحي ريس بسيد المضيق فقد كان يتحكم بالمرور في مضيق جبل طارق كما كان يهدد السواحل الاسبانية و كان الغالب بالله يتخوف من ان يستعمل الاتراك لبادس كقاعدة للهجوم على المغرب فاتفق مع ملك اسبانيا على إعطائه حجر بادس و اجلائها من المسلمين و كان هناك قراصنة مغاربة ينشطون و يعملون لمجابهة الاسبان ريو مارتان قرب تطوان يدعمهم امير شفشاون الذي كان مستقلا في حكمه حيث تعاون عبد الله الغالب مع الاسبان للقضاء على التحالف و هاجم الاسبان ريومارتانو اغرقوا قوارب مليئة بالحجارة في الميناء و في الوقت نفسه حاصر السعديون- الغالب بالله- شفشاون و استولوا عليها

ويتهم مؤرخ مجهول الغالب بالله بالغدر لثوار الاندلس سنة 1568اذ وعدهم بالمساعدة فلما أعلنوا الثورة تخلى عنهم واتفق مع الاسبان ان يخرجوا الاندلسيين الى المغرب وكان قصده بذلك تعمير سواحله ويكون له منهم بمدينتي فاس ومراكش جيش عظيم ينتفع به في مصالح ملكه

نشطت أيام الغالب بالله التجارة مع فرنسا و بريطانيا و كان التجار الفرنسيون و البريطانيين يجنون مرابح ضخمة وقد جرت محاولة قام بها الفرنسي أنطوان دوبربون بموافقة سرية من ملك فرنسا يهدف الى تقديم قوة فرنسية مجهزة بأسلحة نارية للغالب بالله مقابل تسليم القصر الصغير الذي كان يفكر بإعطائهلإسبانيا مقابل نافار– منارة – ما وراءالبيرينه ولكن ملك اسبانيا فليب الثاني رفض المشروع و بدأت العلاقات البريطانية المغربية في وقت مبكر بمبادرة من تجار انجليز كانوا يتحدون الاحتكار البرتغالي للتجارة في هذه المناطق و قد جلب هؤلاء الأسلحة و الذخيرة التي ساعدت السعديين على تحرير موانئ الجنوب المحتلة و قد شجع السعديين منذ بداية تحركهم التجار الأوربيين على كسر الاحتكار البرتغالي و توسعت هذه التجارة بعد تحرير اغادير و انسحاب البرتغاليين من اسفي و ازموروقد قامت اول رحلة انجليزية معروفة سنة 1551 اشتركت فيها سفينتان بقيادة توماس ويندهامو قامت رحلة ثانية سنة اشتركت فيها ثلاثة سفن بقيادة ويندهام أيضا و استمرت الى عهد الغالب بالله وقد مول عدد من تجار لندن هاته الرحلات كان هذا التعامل التجاري مربحا للطرفين فقد السلاطين يربون الحصول على السلاح و الذخيرة و التجار المغاربة يرغبون الحصول على الاقمشة البريطانية التي يتزايد الطلب عليها يوما بعد يوم وقد اهتم الانجليز بنترات البوتاسيوم المغربية بما تمتاز به من نوعية متفوقة كذلك اهتموا بالسكر الذي تزايد الطلب عليه في اروبا في القرن 16 و كان السلاطين السعدين قد توسعوا في زراعة قصب السكر

– محمد المتوكل 1576/1574:

مدحه مؤرخ مجهول " اعطى العطاء الجزيل للفقهاء والفضلاء والمساكين والضعفاء وتفقد أحوال الرعية وعدل في احكامه بين الناس بالسوية وكان متيقظا في احواله متانيا في افعاله منزها في أقواله وما علم انه زنى ولا شرب خمرا ولا مسكرا غيره قط وأكثر حركاتهوجميع سعيه محمود ولا شيئا فيه مذموم سوى اتيانه بالنصارى لوادي المخازن "

بينما يذكر الافراني في النزهة ان " بعضهم يصفه انه كان متكبرا غير مبال بأحد و لا متوقفا في الدماء شديد العنف على الرعية " لم يطل به الامر فقد نجح عماه احمد المنصور و عبد الملك في الحصول على عون تركي بعد ان شاركا الدولة العثمانية في تحرير تونس من الاسبان سنة

1574 و كان العلج علي يرغب في ادراج قوات عثمانية كبيرة للعمل في المغرب على ان يعمل الاتراك و المغاربة معا على طرد الاسبان من شمال افريقيا و قد نجح عبد الملك بفضل هذا العون من التغلب على ابن أخيه الذي تخلى عنه معظم جيشه و انظموا الى عمه و لم يستسلم المتوكل بسهولة بل قاوم بشدة في الجنوب و خاض ضد عميه 24 معركة ثم فر الى الشمال و لجا الى البرتغاليين في طنجة

- مولاي عبد الملك 1578/1576:

كان عبد الملك واسع الأفق جراء غربته و قضائه فترة في البلاط العثماني فتعلم التركية و الاسبانية و الإيطالية و تاثير نمط الحياة العثمانية عامة كما اكتسب خبرة في المسائل الدولية و السياسية و التجارية و عمد على تشكيل الجيش معتمدا على عناصر من الاتراك و العلوج الموجودة في المغرب تولت الاشراف على المدفعية و الأسلحة النارية كما اعتمد على الاندلسيين الذين سارعوا بالانضمام اليه متخليين عن المتوكل لكرههم الشديد لعبد الله الغالب و ابنه المتوكل لخيانته للثورة الاندلسية و اعتمد كذلك على القبائل العربية التي شكلت العنصر الأساسي في قوة الخيالة

سار عبد الملك في سياسته الخارجية على السياسة السعدية التقليدية نفسها وهي سياسة المحافظة على التفاهم مع الاسبان ليؤكد بفضل ذلك استقلاله عن الاتراك وليحول من جهة أخرى دون تقديم مساعدة اسبانية للمتوكل الذي لجا في بداية الامر الى طلب مساعدة اسبانيا ويفسر هذا عدم اهتمام المسؤولين الاسبان بالمتوكل الذي اضطر الى اللجوء الى البرتغال

و تعود صلة عبد الملك بالاسبان الى أيام المنفى فقد فكر سنة 1572 بالذهاب الى اسبانيا و كان وهو في استنبول –القسطنطنية– يطلع ملك اسبانيا على كل ما يجري في مقر السلطة العثمانية و حين تولى السلطة في المغرب تابع مفاوضاته مع الاسبان حول مشروع معاهدة عرض فيها انه لن يستخدم أحدا من الاتراك في ادارته و انه لن يهاجم ملك اسبانيا حتى لو طلب السلطان العثماني ذلك و ان يبلغ ملك اسبانيا عن نوايا السلطان العثماني العدوانية ضد اسبانيا و ان يتعهد كل من الطرفين المتعاقدين عدم تقديم أي مساعدة للاتراك ضد الطرف الاخر و ان يتبادل الطرفان عند الحاجة المساعدة ضد الاتراك

و بالرغم من ذلك اتبع عبد الملك سياسة حذرة مع الاتراك متجنبا اثارة المتاعب معهم فقد عمد فور استلامه السلطة الى دفع مبالغ كبيرة من المال و عدد من المدافع ثمنا لمساعدتهم و ليضمن انسحابهم ووعدهم عبد الملك بعدم التدخل في تلمسان و بالتخلي عن سياسة التحالف مع اسبانيا كما انه سمح بالدعاء للسلطان العثماني على منابر المغرب و في الوقت الذي كان فيه عبد الملك يفاوض الاسبان كان على اتصال مستمر مع الاتراك يتبادل معهم السفارات سواءا كان ذلك في الجزائر ام في مقر السطلة العلية في الاستانة الا ان الأمور لم تستمر طويلا على هذا النحو و تبدوا ان المفاوضات بينه و بين اسبانيا و العثمانيين لم تسفر على شيئ محدد

و اتصل عبد الملك بكل من فرنسا و بريطانيا و عرض على كل منهما مشروع تحالف فقد كلف غليوم بيزار الطبيب الفرنسي الذي عالجه في استانبول بسفارة لدى ملك فرنسا هنري الثالث لإبرام حلف بين المغرب و فرنسا و رغم عدم وجود أي إشارة لابرام هذا الحلف فان غليوم بيزار سمي قنصلا لفرنسا في المغرب كما تقرب عبد الملك من ملكة بريطانيا اليزابيت و استدعى التاجرين البريطانين جون ويليامز و جون بامبتون و اكد لهما رغبته في احترام جميع الاتفاقات التي كان ملوك المغرب قد عقدوها مع بريطانيا و اعرب للتاجرين عن عواطفه و تمنياته نحو ملكة بريطانيا معربا عن امله ان تزدهر تجارة المغرب في المستقبل و ذلك بان يقوم التجار البريطانيين بنقل منتوجات البلدان الاروبية الى الشرق الإسلامي عبر الأراضي المغربية عوض نقلها عن طريق المانيا و إيطاليا

كان عبد الملك في امس الحاجة الى قنابل المدافع في صراعه مع المتوكل و قد قام التاجر الإنجليزي جون ويليامز الذي كان يعمل وكيلا لادمون هوجان احد كبار تجار لندن ببيع عبد الملك كمية كبيرة من قنابل المدافع مقابل كمية من نترات البوتاسيوم و تلقى عبد الملك رسالة من الملكة اليزابيت سلمها له ادمون هوجان مبعوث الملكة و ذكر هوجان ان عبد الملك ابدى رغبته في التعاون مع بريطانيا و انه لا يميل للملك الاسباني فليب الثاني لانه يراه واقعا تحت تاثير البابا و محاكم التفتيش و ابدى استعداده لمنح التجار البريطانين تسهيلات واسعة و وعد عبد الملك بارسال سفير لعقد معاهدة تحالف مع ملكة بريطانيا و قد ردت الملكة تشكر عبد الملك على استعداده لمنح التجار البريطانينتلك التسهيلات و طلبت منه ان يبقى خبر زيارة المبعوث المغربي طي الكتمان و يبدوا ان عبد الملك لم يكن مطمئنا للاسبانو ربما كان على اطلاع لمحاولات ملك

البرتغال مع ملك اسبانيا للقيام بعمل مشترك ضد المغرب و بخاصة اجتماع الملكين في غوادلوب سنة 1577 فقام بكشف هذه المحاولات مستغلا الصراع بين فليب الثاني و الملكة اليزابيت

المحاضرة الخامسة: معركة وادي المخازن 1578

كانت السياسية البرتغالية في عهد جان الثالث 1521-1557قد دارت ظهرها للمغرب وشؤونه وانصرفت في لاستغلال البرازيل حيث حدث تحول في السياسة البرتغالية حين تسلم الدوق دون سبستيان العرش 1578/1557 الذي أولى المسائل المغربية اهتماما كبيرا و يعود هذا التاثير للوسط الذي كان يعيش فيه سبستيان و هو وسط جزوبيتي متعصب حاول ان يدخل في نفس سبستيان انه بطل الكاثوليكية في صراعها ضد البروتسنتية و الإسلام

كان سبستيان يحلم بمشاريع توسعية كبيرة في المغرب و في سنة 1573 حصل اتفاق مع فيليب الثاني بتدعيم البابا على تجديد لمدة خمسة أعوام للمنشور البابوي المسمى الحرب الصليبية المقدسة الذي امن له عائدات وفيرة وقد حاول سبستيان اشراك اسبانيا في غزو المغرب وفي سنة 1577 اجتمع مع فلليب الثاني في غوادلوب وحصل على امداده ب 15 الف اسباني وخمسين سفينة هذا اذا لم تجبره الظروف على الاحتفاظ بهذه القوات للدفاع على إيطاليا ضد هجوم العثمانيين والواقع ان فليب الثاني كان قد صرف انظاره عن افريقيا و لم يكن متحمسا لمشاريع البرتغال و قد سمحت له ثورة إقليم الباسك للتنصل رمن وعده و سعى اكثر من مرة لتغيير فكرة و ثني سبستيان عن عزمه على مهاجمة المغرب و فشل في ذلك و ازدادت حماسة سبستيان لتنفيذ مشروعه حين لجا اليه المتوكل و ابدى هذا الأخير استعداده لتقديم تنازلات واسعة وصلت الى حد التنازل عن كل الساحل المغربي المطل على المحيط الأطلسي مع ست فراسخ الى الداخل و تسليم تطوان و القصر الكبير و تسهيل التبشير المسيحي في المغرب و اعترافه بالتبعية لملك البرتغال و قدم له اصيلا كسلفة على المعاهدة

ساد في أواسط الراي العام البرتغالي تياران تيار متطرف متحمس لمشروع الحملة و الاخر معارض و على راسه الكاردينال هنري عم الملك الذي كان لا يثق بالمتوكل و يعتقد ان الشقاق بين المتوكل وعمه عبد الملك شقاق ظاهري وان عروض المتوكل ليست الا فخا يهدف من خلاله الى إيقاع بملك البرتغال و جيشه في كمين

كان عبد الملك على علم بالاستعدادات البرتغالية و الاتصالات الجارية بين المتوكل وسبستيان و حاول إيقاف الغزو و احباط التعاون بين خصميه بالطرق الدبلوماسية فقدم عرضا بتوسيع منطقة الاحتلال البرتغالي و تقديم سنتاكروز في الجنوب لكن هذا العرض لم يلقى استجابة فقد كانت استعدادات الحملة و تحركت قوات الغزو الى اصيلا

كانت الحملة البرتغالية حملة صليبية حقيقية فقد اسهم الى جانب البرتغاليين اسبان و ايطاليون و المان و باركها البابا و قدم لها مساعدات مادية رو معنوية وعسكرية وكان الجيش البرتغالي مزودا بأسلحة نارية حديثة متفوقا بالمدفعية ضعيف من حيث الفرسان و كان الحماس الديني طاغ على المشاركين في الحملة

ارتكب سبستيان أخطاء قاتلة :

– لم يستمع سبستيان لنصيحة المتوكل باحتلال تطوان و العرائش كي يستطيع المتوكل حشد قبائل هذه المناطق الى جانب البرتغاليون

– كان تحرك البرتغاليين بطيئا بسبب كثرة العربات ووعورة الطرق المغربية مما اعطى السعديين الوقت لإكمالاستعداداتهم

– نجح عبد الملك في استدراج سبستيان الى الداخل مبتعدا عن حماية الاسطول واتخاذه موقعا غير ملائما حين اتجه الى معبر بين نهر اللوكس و أحد روافده وادي المخازن في منطقة مستنقعات دون ان يأخذ حذره ان مستوى النهر في هذه المنطقة يتغير تغيرا كبير في حالة المد

– اتخذ الجيش البرتغالي وضعا قتاليا لا يسمح بالمناورة و اعتمد نظام المربعات و أحاط جناحيه بالعربات و جعل مؤخرته تستند الى وادي المخازن و مستنقعاته مما تحول دون التراجع

كان الجيش المغربي يملك مدفعية اقل و فرسانا اكثر و اتخذ وضعا قتاليا ممتازا فقد انتظم الجيش على شكل هلال : الخيالة في الجناحين و المشاة في الوسط تغطيها المدفعية من الخلف و اتخذ مواقع تسهل المناورة و الحركة و كان الحماس الديني و الوطني طاغ على المحاربين المغاربة حيث دمروا الجسور على وادي المخازن ليقطعوا خط الرجوع على البرتغاليين و انتهت المعركة لصالح المغاربة بالرغم من وفاة سلطانهم عبد الملك اثناء المعركة و نجح اخوه احمد المنصور في إخفاء الخبر حتى انتهت المعركة و قتل ملك البرتغال دون سبستيان و حليفه المتوكل و غرق معظم الجيش البرتغالي في مياه النهر التي ارتفعت بسبب المد

نتائج المعركة :

– تعد من اهم المعارك في تاريخ المغرب شبهها المغاربة بمعركة بدر و قد تركت لأحمد المنصور الذي بويع غداة هذه المعركة رصيدا ماديا و معنويا ضخما جعل منه واحد من اشهر سلاطين المغرب

– حطمت البرتغال و تركتها فريسة سهلة امام فليب الثاني ملك اسبانيا الذي نجح الى ضمها بعد عامين سنة 1580

– بدا ملوك اروبا ينظرون الى المغرب كدولة كبرى و صاروا يخطبون وده و يحسبون له حسابا في خططهم الدبلوماسية

– أوقف هذا النصر الضخم حملة عثمانية ضد المغرب اعدها العلج علي بحجة ان عبد الملك لم يفي بعهوده للعثمانيين و بدلا من الحملة ارسل وفدا لتهنئة احمد المنصور بهذا النصر العظيم

المحاضرة السادسة: المغرب في عهدالسلطان احمدالمنصور1578 / 1603 م

بويع احمد المنصور غداة معركة وادي المخازن ولقب بالمنصور استفاد من هذا النصر على الصعيد الداخلي والخارجي وتمتع المغرب في عهده باستقرار نسبي بالرغم من قيام بعض الاضطرابات وبخاصة تلك التي اثارها افراد من اسرته كان واسع الثقافة جمع بين الثقافة التقليدية والخبرة بالمسائل العصرية والدبلوماسية والإدارية قرب بين العلماء والفقهاء والمغاربة واتصل بعلماء مشارقة في مصر والشام

كان المنصور إداريا ممتازا جمع في مخزنه بين التقاليد المغربية و التاثيرات التركية و تميز مخزن المنصور بكثرة عدد الأجانب و قوة نفوذهم و بخاصة الاتراك و العلوج الذين شغلوا مناصب كبيرة في المخزن و الجيش و قد أدى استخدام عدد كبير من الاتراك الى ازدياد التاثير التركي في المخزن و الجيش و اللباس و ما عدا ذلك ظل المخزن السعدي مخزنا مغربيا تقليديا

فرض المنصور مركزية شديدة وكان متطلعا على اخبار النواحي يقرا ما يرد عنه من رسائل عماله ولا يتأخر في الإجابة عنها وكان له عيون في جميع انحاء المغرب وكان شديد الحذر اخترع اشكالا من الخط على عدد حروف المعجم يكتب فيها مالايريد الاطلاع عليه من اسراره واخباره وهذا ما يعرف بالشفرة الان

اهتم المنصور بامور الجيش والاسطول كان جيشه يتكون من قسمين:

– جيش نظامي حديث يتكون من عناصر أساسية من اتراك وعلوج واندلسيين ويعتمد على الأسلحة الحديثة المصنوعة محليا او المستوردة من اروبا وسمي عسكر النار

– جيش تقليدي يعتمد على أسلوب التجنيد التقليدي المعروف في المغرب وعلى الأسلحة التقليدية غير النارية وسمي عسكر الاسنة

و اعتنى المنصور بامر الاسطول و اوكل امره الى واحد من ابرز رجال البحر الريس إبراهيم الشط و جعل مركز قيادة الاسطول في ثغر العرائش وكان المنصور محبا للعظمة و المظاهر الفخمة حيث بنى قصر البديع ليخلده و يخلد اسرته و سعى ان يجعل منه تحفة فنية لا مثيل لها تجمع بين تقاليد المشرق و المغرب و اروبا الفنية و احتفل المنصور بالاعياد الدينية احتفالا لم يعرف له مثيل من قبل و عمل على تكوين حامية وحرس لم تكن لسلطان من قبل فقد كان يحرص على المظاهر الفخمة و لسد النفقات و افتكاك الاسرى و غنائم وادي المخازن الضخمة و موارد القرصنة الوفيرة و احتكار بعض الصناعات و لا سيما احتكار السكر و الملح و تنشيط التجارة مع الأجانب و الضرائب التقليدية فهاجم السودان سنة و بالرغم انه كان بلدا إسلاميا تحكمه حكومة إسلامية و ذلك ليستولي على مناجم الذهب الغنية و مع ذلك لم يكفه ذلك كله فلجا الى ارهاق الشعب بزيادة الضرائب و التعسف في جبايتها

سياسة المنصور الخارجية :

اعطى انتصار وادي المخازن للمغرب و للمنصور هيبة و سمعة دولية و استند اليها المنصور في سياسته الخارجية و استفاد منها و يتجلى ذلك في الوفود التي وفدت على المنصور و الهدايا الثمينة التي حملها وقد حفل عهد المنصور بنشاط دبلوماسي واسع كان الغرض منه تامين سلامة المغرب و بالرغم من اتساع علاقة المنصور الخارجية و تنوع المشاريع السياسية التي ترددت في اتصالاته هذه فانه حرص على الاستفادة منها دون ان يورط المغرب في اية مغامرة خارجية

كانت الظروف الخارجية مواتية للمنصور فقد كانت اروبا تعيش في فترة صراع دولي بين اسبانيا من جهة و بريطانيا و فرنسا و البلاد المنخفضة من جهة أخرى و قد شلت هذه الحروب نشاط اسبانيا في افريقيا و دفعتها كما دفعت غيرها من الدول الى التماس المساعدة المغربية كما كانت الدولة العثمانية مشغولة في اروبا و في صراعها مع ايران – الصفويين – و في اضطرابات البلاد

العربية و لم يعد بإمكانها تهديد المغرب تهديدا جديا و ذلك من جراء تراجع قوتها اثر هزيمة معركة ليبانتسنة 1571 و انتشار الفوضى في ممتلكاتها الافريقية بعد وفاة العلج علي عام 1587 و في هذه الظروف كان المنصور في وضع يجعله اكثر حرية في اختيار حلفائه وفق ما تقتضيه ظروفه و مصالحه و كان يستخدم اسبانيا ضد الاتراك تارة و يستخدم بريطانيا و أسواقها ضد اسبانيا تارة أخرى و كانت مصلحته ان يداري و يحاور الجميع دون ان يتورط بالالتزام مع احد

علاقات المنصور مع العثمانيين :

ارسل المنصور بعد ان تمت له البيعة رسولا الى السلطان العثماني برئاسة احمد بن يحي الهوزالي و لسائر ممالك الإسلام المجاورين للمغرب و منها الجزائر يخبرهم بالنصر و كان العثمانيون قد أوقفوا الحملة التي اعدوها لمهاجمة المغرب و لكن السفير العثماني طالب المنصور بتعيين إسماعيل بن عبد الملك المقيم في الجزائر مع امه التركية حاكما على فاس و كان هدف العثمانيين من ذلك اضعاف المنصور و إيجاد عميل موال لهم في شمال المغرب مما يقوي أملهم في بسط نفوذهم على المغرب لكن المنصور اهمل السفير و رفض الرد عليه و حين وصل السفير الى المغرب طلب منه مغادرة المغرب فتوترت العلاقات المغربية العثمانية فتامر القادة الاتراك في جيش احمد المنصور و نادوا باحقية أخيه عبد المؤمن سنة 1580 وامه تركية و كان مقيما في تلمسان كما اقنع العلج علي السلطان باعداد حملة لمهاجمة المغرب و قد علم المنصور بنوايا العلج علي فنجح في تجنب الغزو العثماني بالوسائل الدبلوماسية و قد تكررت السفارات بالرغم من التحاملات التي كانت بين الطرفين فان تعالي السلطان العثماني و عد نفسه الخليفة الوحيد و ان المنصور ليس الا حاكما و امير لفاس ومراكش وان الحاح العثمانيين على تسلم إسماعيل بن عبد الملك فاس من جهة و رغبة المنصور في تأكيد استقلاله عن الاتراك و اعتباره ندا للسلطان العثماني من جهة أخرى كان يحول دون وصول المفاوضات الى نتائج ملموسة و مع ذلك فان شعور العثمانيين و المنصور بتزايد الخطر الاسباني بعد ضم البرتغال و تضايق المنصور من الحاح الاسبان على تسليم العرائش من المغرب و مساعي الانجليز– البريطانيين – للتقريب بين الطرفين جعلهما يستمران في الاتصالات وتبادل السفارات و الهدايا و في سنة 1580 تلقى المنصور من السلطان رسالتين يقترح فيهما على المنصور التحالف و ان يقدم السلطان العثماني مراد الثالث مدافع حربية و قوات عثمانية تشترك مع المغاربة في مهاجمة اسبانيا كما عرض

السلطان العثماني ابنته زوجة للمنصور لتوثيق هذا التحالف و امام الحاح اسبانيا على المنصور تسليم العرائش تملص المنصور بحجة رجوعه الرجوع الى السلطان العثماني و كانت بريطانيا تحث السلطان العثماني على التدخل لدى المنصور للامتناع عن تسليم العرائش للاسبان كما ابدى العلج علي رغبته للذهاب الى المغرب مع هدايا ثمينة للسعي لابعاد مستشاري المنصور الميالين للاسبان و ظل تبادل السفارات في الأطر نفسها و في أواخر عهد المنصور و تحسنت لهجة السلطان العثماني الذي انشغل بالحرب مع النمسا و مشاكل البلاد العربية و تبدل وضع الجزائر بسبب الاضطرابات الداخلية

علاقات احمد المنصور بإسبانيا :

– بقاء الحلف الاسباني المغربي

– فتور العلاقة بعد مصالحة احمد المنصور مع الاتراك بعد ضم اسبانيا للبرتغال سنة 1580 م

– رغبة اسبانيا في الحصول على ميناء العرائش واوت اليها الأمير الناصر السعدي بن عبد الله الغالب اخا المتوكل

– الملك الاسباني الثاني شديد الاهتمام بالعرائش لافشال مشروع بريطانيا و ان تصبح مركز لاساطيله القادمة من أمريكا دون الحاجة لخدمات البرتغال

– 1581وضع الاسبان و المغاربة مشروع اتفاق يقضي بتسليم العرائش لاسبانيا و تماطل المنصور في توقيع المعاهدة

– 1589 اقتنع ملك اسبانيا من سوء نوايا المنصور في تقديم العرائش له خصوصا بعد تحصينها بمعية بريطانيا

– هدف المنصور من صراعه مع اسبانيا هو استرجاع الممتلكات البرتغالية في المغرب

– استرجاع احمد المنصور اصيلا من فليب الثاني سنة 1589

– تحريض الاسبان للناصر للثورة على عمه المنصور و جراء فشل المحاولة امر المنصور بالقاء القبض على السفير الاسباني و ملاحقة الاسبان في المغرب

– ازدياد سخط المنصور على الملك الاسباني فليب الثاني لتخطيطه احتلال الشاطئ الصحراوي بعض الجزر لتحويل ذهب السودان اليها

علاقات احمد المنصور مع بريطانيا – إنجلترا – :

– رغبة بريطانيا في الحصول على ميناء من الموانئ المغربية لاستخدامها في صراعها ضد اسبانيا و حاولت الاستيلاء على العرائش لكنها حولت انظارها نحو موغادور لحساسية الموقف

– توقيع الملكة اليزابيت التي كانت تتزعم المعسكر البروتستانتي المعادي للمعسكر الكاثوليكي الذي كان يتزعمه الملك الاسباني فليب الثاني حلفا مع احمد المنصور جراء ماحدث مع اسبانيا بانضمام هولندا لهما

– اهداف بريطانيا سياسية و تجارية فقد كانت تتساءل عن مصير تجارها في المغرب مقابل تزويد المنصور بالخشب الانجليزي لبناء اسطوله و أيضا استفادتها من نترات البوتاسيوم المغربية

– تشكيل بريطانيا لشركة بلاد البربر لاحتكار تجار المغرب لمدة 12 سنة و ارسال وكيل لها الى المغرب و كان الوسيط بين بريطانيا و المغرب ومصلحة بريطانيا من هذه السياسة تحرير البرتغال و تنصيب امير موال للانجليز– دون انطونيوا – و طلب المساعدة من المنصور لدون انطونيوا لكن نتيجة ضغوط فليب الثاني حال دون تقديم المساعدات لدون أنطونيو

– التحالف البريطاني المغربي بعد هزيمة الارمادةالاسبانية و ارسال مرزوق ريس و محاولة دون أنطونيو استرجاع عرش البرتغال لكنه فشل

– اعيد التحالف البريطاني المغربي الهولندي و فرض احمد المنصور السيطرة داخل التراب المغربي و الاسباني الى غاية وفاة فليب الثاني سنة 1598

– انشغال بريطانيا بضرب ايرلندا ووفاة الملكة اليزابيت في نفس السنة التي توفي فيها احمد المنصور سنة 1603 و انتهت هذه المشاريع التي أصبحت حبر على ورق و فشلت المساعي التجارية بين البلدين بسبب فشل الشركة البربرية

علاقات احمد المنصور بفرنسا :

– ادراك الحكومة الفرنسية بما يحدث في المغرب و علاقتها الخارجية وأول قناصلها الى هناك الطبيب غليوم بيزار الذي كان يهدف الى استمرار العلاقات الطيبة بين البلدين و تهنئنة المنصور

باسم ملك فرنسا و الحصول على تسهيلات للسفن الفرنسية في موانئ المغرب و تحرير الاسرى الفرنسيين و اطلاع حكومته على العلاقات المغربية الاسبانية و البريطانية و ارسال كميات من النحاس و البارود و قروض مالية الى فرنسا

– جراء التهديدات و التدخل الاسباني في الشؤون الفرنسية جراء الحروب الدينيةعقداحمدالمنصورحلفامعملكفرنساهنريالرابع لتنشيط العلاقات التجارية بين البلدين

–اهتمام فرنسا بالعرائش لإحباط المشروع الاسباني وفي سنة 1598 تزامنا مع وفاة الملك فليب الثاني عقد الصلح بين اسبانيا و فرنسا

– نهاية احمد المنصور :

كانت السنوات الأخيرة من حكم المنصور كئيبة فقد انتشر الطاعون لمدة سبعة سنوات وهلك الكثير من المغاربة ولجا الكثير منهم الى الجبال ورافق الطاعون قحط دام ثلاثة سنوات ومجاعة مخيفةوكان أكثر ما جر في قلب المنصور عصيان ابنه وولي عهدهالمأمونوتوفي المنصور سنة 1603 تاركا البلاد لمصير مظلم

المحاضرة السابعة: انحطاط السعدين وأوضاع المغرب في تلك الفترة

وصل المغرب في عهد المنصور الى اوج قوته و ازدهار ه فقد امتد الى السودان و نجح في الحصول على الذهب و في احتكار التجارة الصحراوية وخاصة مراكش البيضاء تمبكتوا و أصبحت ابليغ و تارودنت مراكز كبرى على هذا الطريق الذي اصبح اهم الطرق و كانت التجارة الصحراوية تنتهي في موانئ الأطلسي المغربية حيث كان التجار الاروبيون ينقلون منها الذهب و النحاس و الجلود و السكر و لم تمضي بضع سنوات على وفاة المنصور حتى تدهور مركز المغرب الاقتصادي بسبب الحرب الاهلية من جهة و بسبب المنافسة الأجنبية و تحول طرق التجارة الصحراوية الافريقية حيث قل تدفق الذهب و لوحظ انه قبل سنة 1603 كانت هناك قافلة سنوية تجلب الى مراكش ضرائب السودان و بعد وفاة المنصور بسبب الحرب الاهلية و اضطراب الوضع في السودان بسبب فساد الجند و مقاومة السودان و لم يعد يصل الى المغرب الا قافلة واحدة كل ثلاثة سنوات و مع ذلك لم يكن مؤكد وصولها ففي سنة 1607ثار الحرس الذي ارسله المولى زيدان لحماية القافلة و حرمت مراكش من أربعة أطنان من الذهب و يبدوا ان مناجم الذهب لم تكن تحت اشراف المغاربة و ظل قسم كبير من ذهب السودان يتوجه باتجاه مصر و النيابات

العثمانية في تونس و الجزائر بعد ان عجز أولاد المنصور على تامين سيطرتهم على توات و ظهر منافسون خطرون للمغرب من الاروبيون فقد بدا قسم منهم يهجر الشواطئ المغربية حيث اضطربت أحوال التجارة بتدهور الوضع الداخلي الى الشواطئ الافريقية حيث اقام الفرنسيون مراكز في جزر الراس الأخضر بالسنغال سنة 1633 و شيدت سانت لويس سنة 1641 و حاول التجار صعود النهر ليصلوا الى مناجم الذهب و العبيد و العنبر و النحاس و العاج و أصيبت صناعة السكر التي رعاها المنصور و نماها بضربة قاسية ليس فقط بسبب الاضطرابات و اهمال زراعة السكر بل بسبب المنافسة الشديدة لسكر البرازيل و جزر الانتيل ومداغيرا ..... الخ

- نهاية الاسرة السعدية:

ان تاريخ الاسرة السعدية منذ وفاة احمد المنصور سنة 1603 و حتى مقتل اخر سلطان سعدي سنة 1659 هو تاريخ المنازعات بين أولاد احمد المنصور و احفاده و انقسام المغرب الى سلطتين سعديتين احداهما في فاس و الأخرى في مراكش و هو فوق ذلك كله تاريخ الامارات المغربية المستقلة التي انشاها زعماء مرابطون سيطروا على القسم الأعظم من المغرب و منازعات هذه الامارات مع السعدين من جهة و منازعات فيما بينها من جهة أخرى

الصراع بين أولاد احمد المنصور:

كان المنصور قد وزع في حياته عمالات المغرب على أولاده فاستعمل ولي عهده المأمون على فاس وذ زيدان على تادلا و اعمالها و استعمل لدى نهوضه الى فاس لمعاقبة ابنه المأمون الذي تمرد عليه ابنه أبا فارس و بايعت فاس بعد وفاة المنصور ابنه زيدان و انشق عليه قسم من الجيش و حرر اخاه من السجن و نقلوه الى مراكش لدى أخيه أبا فارس الذي بايعه اهل مراكش ارسل أبا فارس اخاه المأمون على راس جيش الى فاس انتصر المأمون على زيدان و دخل فاس حيث بايعه اهلها سنة 1605 ارسل المأمون جيشا بقيادة ابنه عبد الله الى مراكش تغلب على ابي فارس و دخل مراكش و اباحها لجيشه و عامل أهلها بقسوة شديدة والتف المراكشيون حول زيدان الذي كان قد سيطر على الجنوب و بعد معرك قاسية استقر الامر بقيام مملكتين سعديتيناحداهما في فاس على راسها المأمون والثانية في مراكش على راسها زيدان الذي كان في نظر الاروبيين وقسم من المغاربة هو السلطان الشرعي لأنه سيد عاصمة السعديين مراكش استعان المأمون خلال صراعه على السلطة بالاسبان مقابل تسليمهم العرائش اثار تسليم العرائش مشاعر المغاربة و غضبهم و لهذا لم يطل عمر مملكة فاس فقد انتهت سنة 1626م اما مملكة

مراكش فقد واجهت مصاعب عديدة مع القوى الصوفية التي سيطرت على الجنوب كما نشب صراع بين أولاد زيدان الذين قتل بعضهم بعض الاخر و انتهت سنة 1659 بسيطرة عرب الشبانات على مراكش بعد ان قتلوا اخر السلاطين السعديين ابا العباس احمد السعدي

الامارات المحلية :

كانت فترةالمنازعات بين الامراء السعديين عقب وفاة المنصوروتعتبرمن احلك فترات الفوضى التي عرفها المغرب و خلال هذه الفترة احتل الاسبان العرائش سنة 1611سلمها لهم المامون السعدي وبنى الاسبان قلعة على مصب نهر السبوسنة سنة كان يعمل في موقعها قراصنة الانجليز – البريطانيين – بالتعاون مع قراصنة سلا اثار عمل الاسبان هذا غضب المغاربة واثار غضبهم صراع الامراء السعديين و وتساهلهم مع الاسبان

مرابطو الجنوب :

أقيمت الزوايا الصحراوية عند ملتقى طرق التجارة الافريقية عبر الصحراء و استفاد القائمون عليها من التجارة الصحراويةفاصبحوا قوة اقتصادية و قوة سياسية تعاقب على الجنوب ثلاثة مرابطين اولهم أبو العباس احمد بن عبد الله السجلماسي المعروف محلى رغم انه ينتسب الى العباس بن عبد المطلب تتطلب على المرابط الشاذلي الكبير ابن مبارك و ادعى انه المهدي المنتظر واستغل أبو محلى الفوضى الناجمة عن صراع الامراء السعديين و بدا العمل اثر احتلال الاسبان للعرائش و استولى على الجنوب و دخل مراكش و طرد السلطان زيدان و استعان زيدان بمرابط اخر يدعى يحي بن عبد الله الحاجي الذي نجح في القضاء على لبي المحلى و حل محله بالسيطرة على الجنوب و التدخل في شؤون زيدان لكنه تعرض لمنافسة مرابط اخر و هو أبو حسون السملالي الذي تمكن من السيطرة على واحات الجنوب سجلماسة و تارودنت و درعة و ملاحة تيجازا و السودان ومن ثم على التجارة الصحراوية و اصبح الوسيط الذي لا غنى عنه بين التجار الاروبيين في اغاديرو ما بين افريقيا السوداء و لكن امره بدا بالتراجع لدى ظهور الاشراف العلويين توفي سنة 1659 م

مرابطواالولاء –الدلائيون – :

اصلهم من قبيلة محاط احد فروع صنهاجة رفع بعضهم نسب الدلائيين الى ابي بكر الصديق انتقلوا الى الاطلس الأوسط من ضفاف الملوية انصرفوا الى العلم و لقوا احترام المرينين و

الوطاسيين و السعديين و تأسست زاويتهم في الاطلس الأوسط سنة شرقي الخنيفرةقوي نفوذها بين بربر الاطلس الأوسط و الملوية بفضل الخدمات الدينية و الثقافية و الاجتماعية و كرم الضيافة و اقتصر اهتمام مؤسسيها الأوائل على النواحي الدينية و العلمية نجح الدلائيون في حماية الاطلس الأوسط من الفوضى التي عمت اثر وفاة المنصور و قدما المساعدة للمجاهد العياشي في جهاده ضد المحتلين في صراعه ضد مثيري الفتن و الفوضى و تدخلوا في تافيلالت ضد تعسف ابي حسون السملالي و في سنة 1636 رغبوا في الاستفادة من الفوضى لحسابهم بعد ان توفرت لديهم قوة بشرية و اقتصادية و معنوية و ضعف امر القوى الأخرى في المغرب نجحوا في السيطرة على شمال المغرب ووسطه و حاولوا التدخل في فاصطدموا بالأشراف العلويين و احرزوا نجاحا اوليا و اصبحوا يسعون الى انشاء سلالة حاكمة جديدة و لكن ظهور الاشراف العلويين قطع الطريق عليهم و كانت نهايتهم على يدهم

الاندلسيون :

هاجروا من الاندلس اثر ثورتهم الفاشلة سنة 1568 و اثر مراسيم الطرد سنة 1609 و في سنة 1614 استقروا في تطوان و سلا و الرباط و شكلوا في هاتين المدينتين اللتين يفصل بينهما نهر ابو الرقراق و لفي الاندلسيون في بادئ الامر ترحيبا من زعيم الجهاد في الشمال العياشي و حاكم مراكش زيدان كان الأول يامل ان يجد فيهم سندا على الجهاد و كان الثاني يامل ان يحصل منهم على مجندين و على مساعدة مالية مما كانت تدره عليهم مغانم القرصنة التي انصرفوا الى ممارستها ضد السفن الاروبية خاصة منها الاسبانية تعاونوا في بادئ الامر مع الطرفين ثم اختلفوا معهما هاجمهم العياشي و استولى على سلا و الرباط و استنجدوا بالدلائين الذين طردوا العياشي و اخضعوا الاندلسيين لسلطتهم و جعل الاندلسيون سلا معقلا للقرصنة التي نشطت في مطلع القرن السلبع عشر و تاثر هذا التوسع بعدة عوامل منها موقع سلا الجغرافي الواقعة على مقربة من جبل طارق مما يسمح بمهاجمة السفن الاسبانية القادمة و الذاهبة الى أمريكا و قد ازداد نشاط القرصنة اثر تسليم العرائش الى الاسبان و تدفق الاندلسيين على سلا و الرباط و تعاون قراصنة سلا و قراصنة الجزائر و مع مغامرين بريطانيين و امتد نشاطهم الى نهر المانش و الى مياه العالم الجديد و بلغ اوج نشاطهم ابان حرب الثلاثين عاما

المحاضرة الثامنة : الدولة العلوية في المغرب الأقصى

ان عصر الضعف الذي عاشه المغرب الأقصى بعد وفاة احمد المنصور الذهبي أدى الى تفكك الإقليم من الناحية السياسية والإدارية وظهرت قيادات كثيرة فكان بعضها يمثل الطرق الصوفية والبعض الاخر يتمثل في تجمعات كبيرة لرجال القبائل كما ظهرت قيادات كبيرة عملت على الجهاد ضد الاستعمار الأجنبي مثل العياشي وتحالف السلاطين مع القوى الأجنبية لتدعيم حكمهم وكل هذه العوامل والظروف سمحت بظهور قيادة جديدة في الميدان تمكنت من السيطرة على الإقليم وإقامة حكم دولة جديدة وهي دولة الاشراف العلويين

المولى إسماعيل :

لقد استقر الاشراف العلويين منذ القرن الرابع عشر في إقليم تافيلالت في الجنوب الشرقي للمغرب الأقصى وصل نفوذهم حتى واد السوس في وقت ضعفت فيه دولة السعديين وزاد نفوذهم مع حاجة الأهالي الى قائد جديد يوحد كلمتهم امام الأعداء فبايع الأهالي محمد الشريف اماما عليهم في سجلماسة سنة وكان ذلك امتداد لحكم قيادة جديدة لكن المولى الرشيد انتزع الحكم من أخيه المولى محمد الشريف وتمكن في سنة م من دخول فاس عاصمة المغرب فبذلك يمكننا اعتباره مؤسس الدولة العلوية

لقد حاربت الاسرة السعدية القوى المسيحية الاسبانية والبرتغالية المعادية للمغرب لكن العلويين بدؤا بمحاربة نيابة الجزائر ومهادنة القوىالأوروبيةوإذا كان المنصور عمل على تحسين علاقاته مع إنجلترا لمواجهة الاطماع الاسبانية والبرتغالية فان العلويين عملوا على تحسين علاقاتهم مع فرنسا حتى يواجهون بذلك الاخطار الاسبانية والبرتغالية

توفي المولى رشيد بوقت قصير بعد دخوله فاس وترك الحكم لأخيه المولى إسماعيل الذي كان في فاس سنة م والذي قام ببناء اركان الدولة العلوية فيما بعد فكان عليه اكمال مهمة أخيه في اخضاع المناطق الموجودة في المغرب الأقصى ويوحد البلاد في وقت سادت فيه الانقسامات الداخلية والنزعة الإقليميةوكذلك القبلية التي تعتبر من أكبر المعوقات في سبيل توحيد البلاد فاستعمل الشدة والقوة للوصول الى أهدافه

اعتمد المولى إسماعيل على عدد من افراد اسرته لحكم بعض المناطق في المغرب و ساعده طول فترة حكمه الذي بلغ نصف قرن من الزمن من سنة 1727/1672 م على تثبيت حكمه بالإضافة

الى استناده لأفراد اسرته استند المولى إسماعيل الى جيش ثابت و منظم ولأول مرة في تاريخ المغرب الأقصى بهذا الشكل بدلا من استعمال السلاطين فيما مضى على عدد من القبائل الموالية و اعتمد المولى إسماعيل على عملية تجنيد منتظمة من بين عناصر الرجال السود الذين أتوا مع حملة المنصور على السودان الغربي فاصبح يجندهم في فرقة خاصة تسمى عبيد البخاري بحيث يجعلهم يقسمون على صحيح البخاري بالولاء له و كان هذا الجيش مرتبط مباشرة بالسلطان و عمل على تزويجهم حتى يضمن الحصول على أجيال جديدة من المجندين الإفريقيين

لقد دفعته الرغبة في الحصول على العبيد السودانيين لتجنيدهم على غزو السودان من جديد لكنه فشل في ذلك وبالرغم من ذلك فقد خضعت الساقية الحمراء و شنطيط و الجزء الشمالي لحكمه و اعتمد المولى إسماعيل العمليات الحربية لإخضاع المغرب لسلطته العليا فبعد مراكش توجه الى فاس التي ظهرت بها فوضى و خاصة بعد عودة الخضر غيلان الذي كان من رجال التحرير المغربي الذين يحاولوا ربط بلدان المغرب ببعضها وكان لاجئا في الجزائر و استغل فرصة الفوضى لقلب موازين القوة لصالحه لكنه فشل في ثورته و قتل في معركة مع جيش المولى إسماعيل و جاء هذا النصر مثبتا لدعائم حكم السلطان و قام المولى إسماعيل بتحصين المغرب للدفاع عن حدود المغرب الموالية للجزائر كما استطاع المولى إسماعيل استرجاع المهدية و المعمورة سنة م و العرائش سنة م ولم يسعفه الحظ في سبتة و مليلة من الاسبان و مزغان من البرتغاليين

و كان للمولى إسماعيل علاقات خارجية منها مع الدولة العثمانية التي لم تكن بأحسن الأحوال بسبب محاولته ضم تلمسان و اعترافه بالحدود التي كانت قائمة منذ العهد السعدي بين الدولتين اما بالنسبة مع فرنسا فان المولى إسماعيل سعى الى تحسين علاقاته مع لويس الرابع عشر و خصوصا ان هذا الأخير كانت له علاقات متوترة مع كل من اسبانيا و إنجلترا و ارسل المولى إسماعيل سفارة الى فرنسا برئاسة محمد تميم لعقد حلف وتم تجديد المعاهدة التجارية المعقودة بين البلدين منذ سنة م و الاعتراف بحالة السلم بينهما و حرية الملاحة بين الطرفين و هذا ما شجع اكثر التعامل التجاري بين الطرفين وكانت العلاقات الإنجليزية و الاسبانية متوترة فالاحتلال الإنجليزي لطنجة سنة م وتر العلاقات بين الطرفين و بقيت كذلك حتى بعد نهاية الاحتلال و الامر كذلك بالنسبة لإسبانيا بحكم الاحتلال

تولى المولى إسماعيل حكم المغرب لمدة خمسة وخمسين سنة وبعده شهد المغرب الأقصى نزاعات داخلية حول من يعتلي عرش المغرب ولم يرشح المولى إسماعيل وليا للعهد من أولاده لأنهم لم يكن فيهم من هو مؤهل للملك وهكذا استمر النزاع والاضطرابات السياسية الى غاية اعتلاء المولى محمد بن عبد الله السلطة حفيد السلطان المولى إسماعيل سنة م وبعدها عم الهدوء والاستقرار السياسي و عاشت المغرب خلال فترة حكمهألى غاية سنة مفترة انتعاش اقتصادي بازدهار التجارة بربط معاهدات تجارية مع دول اروبا و حتى مع الولايات المتحدة الامريكية كما ساهم السلطان محمد بن عبد الله في تطوير المعارف بإنشاء مخلف المؤسسات التعليميةكما قام بتوطيد روابط مع الدولة العثمانية و مع بلاد المشرق كما تصاهر مع شريف مكة و لقد ساعد هذا على زيادة قوافل الحج وتطور الروابط الفكرية مع الحجاز و الجزيرة العربية خاصة مع الحركة الوهابية والتي اثرت على المغرب و هذا التاثير شمل بصفة خاصة الطرق الصوفية التي كانت تنتعش بها المغرب الأقصى

بعد نهاية حكم المولى محمد بن عبد الله عاش المغرب نوع من الاضطرابات و خصوص مع الأوضاع الدولية منها الثورة الفرنسية ففي خضم تلك الاحداث تولى المولى سليمان الحكم و قضى على الجهاد البحرية و باع سفنه لتونس و الجزائر و حدد مدينة طنجة مقر للقنصليات الأجنبية و لم يكن للمغرب في عهده علاقات جادة مع الخارج في الوقت الذي كان فيه الغرب يفكر في السيطرة على المغرب وتزامن الاحتلال الفرنسي للجزائر مع المولى عبد الرحمن و الذي حاول هذا الأخير تجديد حركة الجهاد البحري لكنه فشل و بالتالي بدأت الاطماع الأوربيةتجاه المغرب الكبير بما فيها المغرب الأقصى

المحاضرة التاسعة : الاحتلال و التوسع الاسباني لطرابلس الغرب

عرف القرن الخامس عشر بروز التاج الاسباني المتوج بزواج فرديناملك اراغونة و ايزابيلا ملكة قشتالة و الوحدة الاسبانية التي فرضت على اسبانيا الالتفاف الى الخارج و خصوصا الشمال الافريقي و هذا لسببين :

– ملاحقة المسلمين للانتقام منهم

– التطلع للسيطرة على مناطق الشمال الافريقي لجعلها مناطق نفوذ لها و استغلوا الأوضاع الداخلية المضطربة و كانت الفرصة للتوغل في بلاد المغرب سنة 1508 بقيادة بيدرو دو نافارو وهاجم وهران ثم بجاية ثم بقية السواحل المغربية الأخرى

عمل اسقفطليطلة الكاردينال خمينس و رئيس وزراء فرديناند ملك اسيانيا على توجيه انظار الأسيان نحو افريقيا و المكاسب التي يحصلون عليها جراء سيطرتهم على افريقيا و طرابلس الغرب خاصة و انتقل بيدرودونافارو من بجاية مباشرة الى طرابلس الغرب بقوة مؤلفة من الاف الرجال بمشاركة قوة إيطالية لاحتلال طرابلس الغرب و عند عودته من حمل المؤونة توقف في جزيرة غوزو بمالطا فانظم اليه بعض المالطيين كمرشدين و ادلاء له

وبلغ الاسطول طرابلس الغرب سنة 1510وباشر بضرب سواحلها و في فترة وجيزة تمكن الاسبان من الاستيلاء على النقاط الرئيسية في المدينة بالرغم من تدافع الطرابلسيين بالدفاع عن مدينتهم ووصل القائد الاسباني بيدرو دو نافارو الى السراي – مقر حاكم المدينة – حيث يقيم الشيخ عبد الله فامر باعتقاله وعمد السبان على نهب المدينة و هجروا اهاليها فهجرها التجار و انتقلت الأهمية التجارية الى الموانئ الأخرى و تبديل هيكلة المدينة و بناء اسوار جديدة على انقاض الاسوار القديمة

واجه الاسبان مقاومة عنيفة من سكان المدينة رغم عدم رضا الاسبان على ذلك للتكاليف الباهضة الناجمة عن احتلال المدينة و كان بيدرو دو نافارو يدرك ان بقاءها في ليبيا مستحيل ان لم يخضع جزيرة جربة له و بالفعل توجه نحو مدينة جربة لكنه اصطدم بمقاومة عنيفة افقدته مؤونة و ذخيرة و خيرة قادته و جراء هذه الهزيمة منحت لاهالي طرابلس الغرب متنفسا قويا الى تجديد مقاوتهمللاسبان و في سنة 1511 شن الأهالي هجوما منظما على القوات الاسبانية لكن القائد ديجوا ديفيرا– ناب مكان بيدرودونافاروا اثناء حملته على جربة – كبدهم و الحق بهم خسائر فادحة

و خلال السنوات الأربع لوجود الاسبان في طرابلس الغرب و خوفا من الخسائر البشرية و المدنية لضمان بقاء طرايلس الغرب في يد المسيحيين عمد الملك الاسباني الى الحاقها بمملكة صقلية بحجة قربها منها فغدت المدينة مرتبطة مباشرة بحكومة نائب الملك المقيم في صقلية وفي هذه الاثناء برزت القوة العثمانية بوصفها قوة جديدة ناشئة و أعلنت عن تبنيها حماية البقاع الإسلامية و الدفاع عنها

و في اللحظة التي تركز ال باربا روس بالجزائر و تطور موقفهم و بغية ضمان التواجد المسيحي في تلك المناطق و طرد الاتراك منها رحب الملك الاسباني بالعرض المقدم اليه من فرسان القديس يوحنا بعدما طردهم السلطان سليمان القانوني من مدينة رودس فمنحهم طرابلس الغرب شريطة تعهدهم بقتال المسلمين و الوقوف الى جانبه قبل المرشد الديني لفرسان القديس يوحنا شروط الملك الاسباني شارل الخامس و اتخذ طرابلس الغرب مقرا عسكري بعدما اتخذ جزيرة مالطا مقرا روحيا للمنظمة ومنذ ذلك التاريخ انصرف الفرسان الى ترسيخ وجودهم في طرابلس التي انسحب الاسبان منها

احتلال فرسان القديس يوحنا لطرابلس الغرب – ليبيا –

و تجسيدا لمرامي الملك الاسباني شارل الخامس قرر منحهم جريرة مالطة كمركز روحي و طرابلس الغرب كمركز عسكري استقرت المنظمة في طرابلس الغرب منذ سنة 1530 و بدأت العمل بتحصين المدينة و رممت الاسوار و القلاع و زادت من ظلمهم للأهالي و كانوا يسعون للاستقرار في مدينة طرابلس بصورة دائمة وفي سنة منح السلطان العثماني خير الدين بربا روس لقب بيلرباي الجزائر و بذلك تأكدت الخطوة العثمانية الرامية الى اخضاع الشمال الافريقي و بذلك بدا الصراع العثماني الاسباني و خصوصا بعد سيطرة خير الدين على تونس سنة 1534 و استنجدوا بالبابا و هذا الأخير الح على شارلكان باسترداد تونس من خير الدين لأهميتها و موقعها الاستراتيجي و بالفعل كان ذلك و قد تأكد شارلكان و العالم المسيحي ان التوسع الاسباني في شمال افريقيا لن يكون الا بالقضاء على التواجد العثماني فاندفع شارلكان بحملة أخرى على الجزائر سنة الا انه لقي خسارة فادحة و تعتبر اكبر حملة في القرن السادس عشر على الشمال الافريقي و تخوف الطرابلسيون من الاعمال الوحشية و الهجمات الاسبانية فاستنجدوا بالسلطان العثماني سليمان القانوني و بعث بمراد اغا الى طرابلس الغربوقد تزامن الوجود العثماني في الجزائر مع خضوع طرابلس للسيطرة الاسبانية ومن بعدها سيطرة فرسان مالطة الطامعين في الاستقرار فكان خير الدين يوجه الضربات للقوات الاسبانية و خصوصا ان مطامع خير الدين كان طرد أيضا الاسبان من تونس

ويمكننا القول ان التواجد العثماني على الساحة الافريقية تبلور بشكل مؤكد بتكليف مراد اغا بقيادة مجموعة من الإنكشارية الى طرابلس برغم قلتها و لكنها خطوة فعلية نحو خضوع طرابلس الغرب و ما جاورها للسيطرة العثمانية

تجمع الليبيون في تاجوراء فرار من اضطهاد الفرسان و ظلمهم بمساعدة العثمانيين وهذا بعد توجه الوفد الليبي ال مقر السلطة العثمانية سنة 1532 و عرضوا على السلطان مصابهم وما حل بهم على ايدي الفرسان اتخذ مراد اغا تاجوراء مقرا لامارته و باشر العمل بتحصينها ثم قام باعداد قوة من الأهالي إضافة الى من معه من جنود وشرع في شن حملات متفرقة على الفرسان و عمل مراد اغا على توسيع امارته سنة 1543 وضم مدينتي مسلاتة و ترهونة وفي سنة 1544 ضم الغريان و ابن الوليد و يحث في نفس الوقت على طلب المساعدة العثمانية لان فرسان القديس يوحنا كانوا يسرفون في القتل و

المحاضرةالعاشرة : ليبيا في عهد البيلربايات 1606/1551م

تميزت هذه الفترة في ولايات الدولة العثمانية وولايات الشمال الافريقي خاصة بالهدوء و الاستقرار ففيه حققت الدولة العثمانية اقصى توسعاتها و ابهى انتصاراتها ومنه اكتسبت سطوتها و شهرتها و في هذه الفترة تحققت السمات الإدارية و العسكرية بفضل الولاة الذين اخلصوا بمركزهم للسلطان العثماني و دولته و بعضهم الاخر ساء الى لقبه و خان سلطانه و لقبه و هناك صفة خاصة اتصف بها ولاة الشمال الافريقي في هذه الفترة و هي ان غالبيتهم كانوا من رياس البحر و ان قسما منهم كانوا من المهتدين او الاعلاج وبموت هؤلاء ظهر هناك عدم الاستقرار و شعر الأهالي بالظلم و فوضى الانكشارية الذين حاولوا افساد الإدارة و اضطراب امني مما اضطر بالاهالي الى الهجرة خارج بلادهم

تولى مراد اغا ولاية ليبيا 1551/ 1555 و اوكلت له مهمة طرد الفرسان و اخذ مدينة تاجوراء مركزا له ثم نقلها الى مدينة طرابلس الغرب و اتخذ قلعتها مقرا دائما له كما حول الكنيسة الى مسجد و سعى الى تنظيم امورها الإدارية و حتى العسكرية و حصن المدينة و قام بترميم القلعة وفي سنة 1552 حاول فرسان القديس يوحنا استرجاع المدينة لكنهم فشلو في ذلك ووفاته سنة 1555 م

تولى طرغوث ريس الحكم من بعده عن طريق الوساطة بينه وبين السلطان العثماني عن طريق سنان باشا تميز عهده بالقضاء على كل الاضطرابات و الفوضى واعمال الشغب و قام بتنظيم الجيش وسهر على تطبيق الامن و اقام ثكنات للانكشارية لتفادي طغيانهم على الأهالي واهتم بترميم اسوار المدينة و تجديدها وبنى ابراجا و انشا دار للبارود و بنى مسجدا باسمه

وشهد عهده ثورات عديدة منها ثورة سكان الغريان و اعلنوا العصيان عليه لكن طرغوث ريس استطاع اخماد هذه الثورة و فرض غرامة مالية عليهم و الامر كذلك لابن الوليد و اخضع جميع المدن الليبية كان حكمه حكما مركزيا و عهد للقاضي انصاف المظلمين و سعى لتشجيع القرصنة البحرية و مداخيلها لإصلاح أحوال الولاية

حملة جربة سنة 1560م التي كانت بزعامة اسبانيا حيث كان اسطول مشترك مؤلف من اسبان و فرنسيين و ايطاليين و المان و تزعم طرغوث ريس الحملة المغربية بمساعدة الاسطول العثماني و كانت الهزيمة للاسبان كما توجه طرغوث ريس بحملة ضخمة نحو الجزر المالطية للقضاء على فرسان القديس يوحنا نهائيا وكان ذلك سنة 1565 م و دام هذا الحصار ثلاثة اشهر لكنه فشل حتى في لدخولها و فشلت الحملة و استشهد طرغوث ريس و دفن بمسجده

وبوفاة طرغوث ريس انتهى عهد الاستقرار السياسي و العسكري و الإداري و اصبح كل الولاة المعينون لهم سلطة اسمية فقط حيث ظهر الفساد الإداري و الاضطرابات الأمنية و الصراعات الداخلية وما زاد الطين بلة هو ظهور ما يعرف بديوان الجند و اصبح هذا الديوان يتماشى مع شخصية الوالي لكن في مطلع القرن السابع عشر ظهر تفوق للجيش الانكشاري داخل الولاية راسل الأهالي السلطان العثماني و عين على راس الولاية يحي باشا الذي سعى الى تنظيمها و ضبط الانكشارية و قضى على الجند المتمردين و استطاع ان يضبط أمور الولاية لكن بعد وفاته عادت انتفضت الانكشارية من جديد و اعلن أهالي الغريان الثورة على الحكم العثماني و لما وصلت للسلطان بالأوضاع كلف العلج بإدارة الولاية قام يتاديب الانكشارية وقضى على الثورة في تاجوراء وشجع الاعمال البحرية و قام بتنظيم داخلي محكم على مستوى الولاية و في سنة 1568 م عين بايلرباي على الجزائر ثم استدعي من طرف السلطان ليتولى امارة الاسطول العثماني الذي تحطم في معركة ليبانت سنة 1571م

تولى بعدها جعفر باشا أمور الولاية وحمله اللبيبيون هذه الهزيمة و الأوضاع المضطربة فهاجروا الى مدينة قفصة التونسية و اتخذوها موضعا لهجوماتهم فدخل جعفر باشا قفصة و فرض على اهاليها ضرائب مجحفة و تحرك نحو القيروان و سوسة واعلن ضمهما الى ولايته وعند وصول اخبار للسلطان العثماني ارسل مرسول الى تونس لتقصي الاخبار ففضل ان يقدم نفسه الى السلطان بعد جاء فرمان سلطاني يقضي بإعادة القيروان و سوسة و المنستير الى تونس و

الاحتفاظ بجربة و صفاقص و قابس لليبيين و جراء السياسة الضرائبية المجحفة فعوض معاقبته من طرف السلطان تم ارساله الى بلاد الشام

بعد جعفر باشا تولى إدارة الولاية رمضان باشا رغم مساعي هذا الأخير في تنظيم أمور الولاية لكنه لم ينجح جراء نقمة الأهالي على الولاة القادمين من الباب العاليفقد قام بتخفيض الضرائب و تنظيم الجيش ورغم ذلك فان حقد الانكشارية على الولاة و الأهالي على نظام الحكم العثماني حال دون قبول ولاية هذا الاخير وانتشرت الثورة ضده فحملهم المسؤولية فقضت عليه الانكشارية حيث حرضت احد قادته اثناء خروجه من طرابلس مقاومة الأهالي سنة 1574 م

و بعد مقتل رمضان باشا عين مصطفى باشا بعد محاولة الانكشارية الانقلاب على السلطة العثمانية وقد شهدنا في هذه الفترة تمرد الكلراغلة و الثورات الداخلية الرافضة للحكم العثماني أهمها الثورة التي تزعمها يحي السويدي احد زعماء تاجوراء و جراء هذا الخناق على الباشا مصطفى طلب هذا الأخير المساعدة من تونس بالمقابل تنازله على جزيرة جربة ووصلت اخبار الى الباب العالي فعزلته و عينت مكانه حسين باشا سنة 1588 م و اهم ماميز فترة حكمه القضاء على الثورات الداخلية وقتل بسبب الضرائب المجحفة و بوفاته عادت الثورة من جديد بقيادة ضباط و ولاة في الجيش و ابتزازهم للاهالي بالإضافة الى سياسة الكراغلة التي منحت لهم بعض الحقوق اصبحوا يترفعون عن الأهالي مما أدى الى نفيهم عن طرف حافظ باشا و في نهاية القرن السادس عشر أصبحت أمور الولاية تناقش في مجلس ديوان الجند عوض مجلس الولاية رفع الدوان تقريرا الى السلطان العثماني يعلنون فيه ولائهم و مهمتهم حماية المدينة و تطبيق العدالة لكن الفترة الممتدة من 1595الى 1606 ساعدت الديوان على تجريد الوالي من أي سلطة فعلية و كان الباشا إبراهيم الذي تولى الإدارة سنة 1595 م سعى الى كسب رضا الجميع السلطان و الأهالي ويتحاشى اثارة الخلاف مع ديوان الجند وفي الاخير طلب منه الديوان مغادرة الولاية و عين إسكندر باشا سنة 1600 بصلاحيات محدودة لازمته حتى عزله وفي سنة 1606 خلفه سليم باشا الذي استسلم لرغبات الديوان و لم يمضي وقت طويل حتى بدا التجار الاروبيون يتوافدون على الولاية لممارسة النشاط التجاريتولى الانكشارية إدارة الولاية من خلال ديوانهم و نصت النظم التي وضعوها على انتخاب رئيس لديوان الجند لمدة ستة اشهر ويلقب باسم الداي

المحاضرة الحادية عشر: ليبيا في عهد الدايات 1711/1606

تولى الانكشارية إدارة الولاية من خلال ديوانهم بعد الزام الداي بقواعد الديوان وأول داي فائز بثقة الديوان هو الضابط سليمان و جراء ضغوطات الديوان لم يستطع الالتزام بقواعده فاضطر الى التنازل عن منصبه و خوفا من الاضطرابات و العودة الى الثورات سار الديوان على سياسته الى غاية 1611 موتميزت هذه الفترة بالاستقرار السياسي و العسكري و حتى الإداري وأيضا على مستوى العلاقات الخارجية مع تونس و الجزائر وترحابه لمهاجري الاندلس لكن بولاية صفر باشا الديوان سنة 1611 بدأت الانزلاقات السياسية لأنه يعتبر اول داي وصل الى السلطة عن طريق نفوذه الاقتصادي و يظهر ذلك في استحواذه على سلطة الديوان دون مشاركة أعضائه في القرارات المتخذة بالإضافة الى شراء ضمائر ضباط الديوان و الأهالي و القضاء على كل معارض لقرارته في المقابل قام بتشجيع الاعمال البحرية و جراء ذلك عرفت ليبيا توافد كبير من الاسرى فقام ببناء دار للأسرى و أسس علاقات وطيدة مع التجار الاروبيينوعم ليبيا الضعف و الفوضى جراء الامتيازات التي منحها الداي للتجار الأجانب ووصل به الامر الى تلاوة الفرمانات السلطانية باسمه وأصبح الليبيون يحضرون للثورة وارسل الديوان وفدا لمخاطبة الداي صفر للعودة عن قرارته خوفا من تأزم الأوضاع اكثر لكنه هددهم بالقتل

وصلت اخبار للصدر الأعظم عن الأوضاع التي تعيشها ولاية ليبيا جراء سياسة الداي صفر المجحفة عن طرق الداي علي المستقل عنه فارسل السلطان سنة 1614 حامد باشا و طلب منه تقريرا مفصلا عن الأوضاع لكن الداي صفر استطاع ان يستغل هذا الأخير الى درجة انه حمله مسؤولية جميع اعماله لكن الانكشارية لم يستسلموا للأمر فقاموا بمحاولة القضاء على الداي دون جدوى فقام بمراسلة السلطان مرة ثانية فارسل خليل باشا سنة 1615وبعد محاكمته و اثبات صحة التهم الموجهة اليه شنق علنا امام أبواب القلعة و تمت مصادرة املاكه و تحويلها الى اوقاف اميرية

نصب خليل باشا على راس الولاية وامره بالتعاون مع الديوان وامر الإنكشارية بعدم التطاول على الأهالي بينما كان هذا الأخير ينظم أمور الولاية جاء فرمان تنصيب سليمان باشا الذي سعى الى تخفيض الضرائب المجحفة والتي تعتبر سبب قيام ثورات داخلية بالإضافة الى طرد إنكشارية تونس بطلب من الأهالي عزل سليمان باشا وعين مكانه حسين باشا سنة 1619ومصطفى باشا رئيسا له وقام هذاالأخير بادعاء انه من سلالة الرسول صلى الله عليه و سلم و استطاع ان

يتحصل على منصب الداي بعد مراسلة السلطان العثماني قام في بداية ولايته بتشجيع الاعمال البحرية ووصلت السفن الليبية الى غاية موانئ سردينيا و حقق نوع من العدل و الاسقرار و عم الامن لكن هذا لم يدم طويلا فعادت الفوضى و اعتمد سياسة ضرائبية مجحفة فامر لسلطان باعدامه سنة 1630م و في سنة 1631 عين قاسم باشا و حذر أعضاء الديوان باحترام السلطان و قرر الديوان انتخاب داي اخر مشاركة قاسم باشا فرفض الأهالي الفكرة لانهم من المعارضين للحكم العثماني في طرابلس الغرب على عكس الانكشارية و يمكن ان نميز ابرز فترة قوة شهدها طرابلس الغرب في عهد الدايات وهي فترة ولاية محمد باشا الصاقزلي و عثمان باشا الصاقزلي من 1631الى 1672و بالنسبة لمحمد باشا الصاقزليالذي حمل خادمه عثمان باشا فرمان تعيينه سنة 1633و تعد فترة توليه الحكم من اهدا الفترات و اكثرها استقرارا و عين عثمان باشا نائبا عنه في قيادة الجيش و كلفه باعتماد الردع تجاه اعمال العصيان مثلما حدث في بنغازي سنة 1644 م و ما يأخذ عليه سماحه للتبشير المسيحي في ليبيا و إعطاء امتيازات للفرنسيين وثار الأهالي وقاموا بمراسلة السلطان مراد الثالث لكن انشغال السلطان حال دون اصدار أي قرار اتجاهه فاستغل الداي و استمر في حكمه المستقل الى ان قتل من طرف طبيبه و دفن بجوار مقبرة طرغوث ريس خلفه خادمه عثمان باشا الصاقزلي و لولاءه الكبير لسيده و اعترافه بفضله اخذ لقبه و كنيته و حمل هذا المنصب بناءا على وصية سيده رغم انه لم يكن يرغب في الإدارة قام برفع أجور الانكشارية وعمد على حفظ الولاية و السهر على راحة الأهالي و امنهم وكان يستجيب لاوامر السلطان و كان ينتمي لقراصنة البحر حيث شجع الاعمال البحرية صبورا شجاعا و عرف عليه أيضا الترف و الابداع ببناء القصور و عرفت قبائل ابن الوليد اشرس حملات تاديب منذ الدخول العثماني لطرابلس الغرب كانت في عهد عثمان الصاقزلي دامت ولايته ثلاثة و عشرون سنة من الرخاء الاقتصادي لتخفيضه لقيمة الضرائب المفروضة و التوافق الذي كان بين الأهالي و الانكشارية بنى مشفى باسمه و اهتم بالجانب الصحي وكان عكس سيده لم يعطي امتيازات للاروبيين و فرض رقابة شديدة عليهم وانتهى به المطاف الى تسميم نفسه بسبب الشكوك التي أصبحت تراوده جراء نشاطه البحري و استغلال عوائده فأثار نقمة الانكشارية و هذا ما ادى الى وضع حد لحياته و دفن بجوار سيده سنة 1672 م

عرفت ليبيا من الى ازدهار تجاري و بحري و استقرارا داخليا و خارجيا و بموت محمد و عثمان باشا الصاقزلي بدأت تظهر بوادر الاضمحلال و التدهور و الانهيار و امتدت قرابة أربعين سنة

الى قيام حكم القرمنليين و يتجسد ذلك في الصراع الدموي الذي كان بين أعضاء الديوانبتداول اثنين و أربعين دايا تفاوت فترة الولاية لكل واحد منهم بين يوم واحد الى شهر و غالبيتهم قتلوا وهذا جراء احتكار الضباط الاقوياءلرئاسة الديوان و استمر ديوان الانكشارية على هذا النهج واضيف له منصب الكاخيا او النائب و اسفر اجتماع الديوان على شخص يدعى عثمان و انتخب الريس علي لمنصب الكاخيا و كان من الاعلاج و يعتبر اول من تولى منصب الكاخيا و استمر ديوان الجند يسير على هذا المنوال و في سنة 1709 م شهد طرابلس الغرب تمرد كبير للانكشارية وبعدها تولى إبراهيم الاركليلي و ثار عليه محمد بك لاستلام السلطة و ثار الديوان على هذا الأخير و عين الحاج مصطفى داياو عزل في فترة قصيرة و تولى محمود موسى رئاسة الديوان و طلب هذا الأخير من احمد باشا القرمنلي بتأديب قبيلة الغريان لكنه كان يطمح للإطاحة بأحمد باشا القرمنلي لأنه كان يرى فيه المنافس و كشف احمد باشا القرمنلي نوايا الداي و امر اعيان الديوان بقتله لكنه سلم من الفتل لأنه فر هاربا و عين احمد باشا القرمنلي دايا ونال برضا الجند و هو لا يمت لهم بصلة لا في النسب و لا حتى الجنس و له صفات و اخلاق مكنته من تأسيس سلالة حاكمة تسلمت زمام الأمور من 1711 الى1835 م

المحاضرة الثانية عشر: عهد الاسرة القرمانلية في طرابلس الغرب 1711 /1835 م

لم يكن ظهور الاسرة القرمانلية– نسبة الى مدينة قرمان جنوب الاناضول – نتيجة تخطيط و كان احمد باشا القرمنلي واحد من ضباط الانكشارية و ممن كانوا يقفون في مؤخرة الحوادث لهذا نجى من أي عملية قتل او نفي و دخل احمد باشا القرمنلي الى مدينة طرابلس سنة 1711 محاطا بترحاب الأهالي و العلماء و استطاع ان يكسبهم و رفع رواتب الجند لكن كره الأهالي لهم و محاولتهم للتمرد ضد السلطة اعد لهم وليمة و ذبح رؤسائها اما من سلموا من هذه المذبحة فانهم التزموا بالطاعة

قام احمد باشا القرمنلي بملاحقة حركات التمرد و اعمال العصيان في تاجوراء و ترهونة ومسلاتة و تعد ثورة علي بن عبد الله الصنهاجي سنة من اصعب الثورات لان قائدها ادعى انه المهدي المنتظر و انه منقذ البلاد من العثمانيين للكن في اخر المطاف فر هاربا كما استطاع ان يكسب الأهالي الى صفه و قام بتنظيم أمور الولاية حيث شكل مفرزة للحرس المحلي لحفظ الامن فحصن الولاية ببناء الحصون و القلاع و اصلح اسوار المدينة و ابراجها و بنى جامعا باسمه و بعد ذلك انصرف الى توسيع حدود ولايته و اعتمد على إدارة الولاية على اقربائه بالإضافة الى مشاورته

للعلماء و الاعيان و سعى الى تقوية نفوذه و مركزه فضمن لأبنائه من بعده حكما وراثيا و كان يتخذ قراراته بعيدا عن السلطان و فرماناته و صك النقود باسمه و باشر بعقد الصلح مع النمسا و عقد معاهدات تجارية معهم دون استشارة الباب العالي ورفع اسم السلطان من الخطبة و تشكيل مجالس شرعية في مختلف انحاء الولاية دون الحصول على موافقة مفتي الإسلام في الاستانة و بدا و كانه حاكم مستقل و لاسيما بعدما تلقب بامير المؤمنين

سعى احمد باشا القرمانلي الى تخفيف من سياسته العدائية للسلطان فأرسل وفدا للسلطان و اظهر ولائه و في المقابل جاء فرمان تحصل منه على لقب الباشا و اتسمت السنوات الأولى لحكمه بالعدل و المساواة و الرخاء الاقتصادي و تخفيف الضرائب على الأهالي و لجا في الفترة التي سبقت اصابته بفقدان البصر الى تشديد قبضته على الأهالي و تشديد الضرائب و التي اثقلت كاهلهم ثم بعدها تنازل عن الحكم لابنه محمد باشا و قد دفعته عزة نفسه و شجاعته الى اطلاق النار على نفسه سنة 1735 و دفن بجامعه

كان حكم محمد باشا القرمنلي في بدايته في نفس وتيرة والده حيث سعى الى تحديد رسم حدود الولاية و الحفاظ عليها و رفع الرسوم الجمركية و شجع القرصنة البحرية لمحاربة السفن البحرية الأوربية و هذا ما اجبر بعض الدول الى عقد اتفاقيات معه لكب وده من بينها فرنسا التي ارادت تجديد الاتفاقية التي ابرمت مع والده سنة 1727و الامر كذلك بالنسبة لبريطانيا و حصلت هذه الأخيرة على امتيازات سياسية و اقتصادية ضخمة سنة 1751و أصبحت الجالية البريطانية اكثر الجاليات الأوربية في ليبيا خلال ولايته و تضمنت المعاهدة عدم تقديم مساعدات للجزائر و تونس في حالة الحرب و نستطيع ان نميز هذه الفترة بالرخاء الاقتصادي و الاستقرار الإداري لكن هذه الأوضاع لم تلبث كثيرا حيث ترك محمد باشا الحكم لأقربائه و انغمس في حياة اللهو و المجون فعمت الرشوة في كل مقاطعات الولاية و مارس اقربائه اعمال مشينة من بينها مشينة من بينها معاهدات مقابل رشاوي و ساءت علاقتهم مع الدولة العثمانية و كانت نهايته القتل في احدى حفلات المجون التي كان يقضيها مع رفاق السوء وخلفه ابنه علي باشا

تولى علي باشا القرمنلي الحكم وهو صغير السن و لم بعد سن الرشد و اصبح الضباط اوصياء عليه و استغلوا الفرصة و عقدوا اتفاقيات مع الدول الأوربية و جراء ذلك تأزمت علاقاته مع جيرانه و قاموا بمصادرة عائدات السفن البحرية واجبره الضباط سنة 1766على تقديم تعهد لفرنسا بإعدام كل مواطن ليبي تعرض للسفن الفرنسية و استغل الضباط طفولته و حتى الموظفين و

تعرضت الولاية للوباء و المجاعة و الجفاف بالإضافة الى استغلال يهود الاندلس الوضع و شرعوا في شراء المناصب واسسوا لهم حيا خاصا بهم لم يستطيع علي باشا التحكم في الأوضاع فاراد الأهالي شكايته للسلطان لكن الضباط المقربين لعلي باشا لم يمكنوا الأهالي من تقديم شكواهم و كان لهذا الأخير ثلاثة أبناء احمد و يوسف و حسن و كانت علاقتهم سيئة خشية توريث السلطة لأحمد خصوصا بعد توليه منصب اغا الانكشارية و حاول يوسف التحايل للفوز بالحكم و تدارك الوالد الوضع و حمله مسؤولية قصر المنشية لكن يوسف تحالف مع الثائر غومة المحمودي زعيم فبيلة المحاميد وسانه الأهالي واعلن عن توليه الحكم وتوجه نحو أخيه حسن لتبليغه فهجم عليه فتدخلت امهما لالا حلومة فبتر يد امه و عوض اسعاف امه اطلق النار على أخيه و اردده قتيلا فطلب علي باشا القرمنلي الاجتماع بأخيه و بمقتضى الاجتماع منحت مصراتة و استلم احمد السلطة سنة 1790 لكن اهل مصراتة رفضوه لان يديها مازالت ملطخة بالدماء فانتفضوا عليه فثار يوسف باشا من جديد و طلب من أخيه تدارك الوضع فقام أهالي مصراتة بشكاياته للسلطان سليم الثالث فعين السلطان علي باشا الجزائري على الولاية سنة 1794 فمنع يوسف الوالي الجديد من الدخول الى المدينة فاعتبره الوالد تحدي لإرادة السلطان فقرر الدخول الى التراب التونسي ووصلوا الى وعود من طرف حمودة باشا باسترجاع عرشهم خصوصا انه كان على علاقة سيئة مع العثمانيين

استطاع علي باشا الجزائري التخفيض من قيمة الضرائب و قمع الانكشارية لكن بعض المعارضين له عرقل مساره الإداري و خصوصا بعد فشله من جلب الأرز من مصر لإطعام جيشه و اضطر الى اطعام عساكره برغل فاحتقره جيشه و اصبح يلقب بعلي برغل و لم يستطيع هذا الأخير دخول جزيرة جربة لتوغل الجيش الفرنسي و جيش التونسي بقيادة حمودة باشا الى مدينة طرابلس لاسترجاع حكم القرمنليين وبعد تخلي أهالي المنشية و الساحل عليه فر خارج الحدود الليبية بسرية تامة و بعودة حكم القرمنليين لليبيا عادت الفوضى السياسية و عين احمد باشا القرمنلي واليا على طرابلس الغرب ويوسف باشا قائدا للجيش ووليا للعهد و رفض الأهالي بقاء الجيش التونسي داخل التراب الليبي وعلم السكان بنوايا يوسف القرمنليالهادفة الى الاستحواذ عن الحكم على حساب أخيه و عند ذهاب الاسرة لزيارة الاضرحة و عند ابتعاد الوفد مسافة عاد يوسف القرمنلي و تسلل عائدا الى طرابلس فاغلق أبوابها و اطلق طلقتين إيذانا للثورة و تسلمه للحكم و

حين علم احمد القرمنلي ادرك انه لا يستطيع مقاومته و لتجنب إراقة الدماء تابع طريقه الى مصراتة و بعد فترة غادرها الى جزيرة مالطا

عمد يوسف باشا القرمنلي على تطبيق العدل و سعى على تحصين المدينة ببناء اسوار و مرافق عمومية لخلق نوع من الاستقرار و الطمأنينة و كان يعمل باستقلالية عن الباب العالي وشجع الاعمال البحرية و كان يدرك ان مصداقيته على البلاد لن تكون الا بفرمان سلطاني فارسل حسين باشا الى الباب العالي و اقنع السلطان بأسباب استقلاليته في الحكم و في سنة 1796 جاء فرمان توليته على ليبيا لكن يوسف باشا لم يحترم وعوده للسلطان و بخاصة المحافظة على السفن التي ترتبط مع الدولة العثمانية بعلاقات صداقة و اظهر عدم تبعيته للسلطان واوهم الأهالي بان السلطان يقيم علاقات مع الدول المعادية لولايته كما امر بالهجوم على السفن الروسية و حجز بعضها و طلب في المقابل مبلغا لفك اسرها وواصل يوسف باشا في سياسته تجاه السفن الأجنبية وتوجه وفد اروبي الى السلطان لشكايته و طلبوا بعزله عن الولاية سنة 1797 و في السنة الموالية جاء فرمان يحذره من تصرفاته و امره السلطان بعدم التعرض للسفن النمساوية و الفرنسية و البندقية لكنه لم يكترث لذلك بالعكس فانه استدعى قناصل تلك الدول و امرهم بدفع الضرائب و في سنة 1799 اسر ثلاثة سفن دنماركية

و في سنة 1802 عقد اتفاقية مع فرنسا و خصوصا بعد توسيع الميناء و بنائه لأسطول ضخم و تناسى الحملة الفرنسية على مصر عوض مقاطعتها تحالف معها و في هذه الفترة سلم يوسف باشا من العقاب لان الدولة العثمانية دخلت في مرحلة الإصلاحات و نتائج الحملة الفرنسية على مصر كانت و خيمة كما اخمد علي باشا بعض الثورات الداخلية جراء الضرائب المفروضة ثار أهالي الغريان سنة 1803 و في سنة 1806 قام شيخ قبائل سرت بالإغارة على بعض السفن الأجنبية الراسية على سواحل المدينة و أيضا ثورة أهالي غدامس و ارسل ابنه لإخماد هذه الثورات ثم كلفه بإخضاع الجبل الغربي

تأزمت العلاقات التونسية الليبية بسبب مطالبة حمودة باشا بالتعويضات التي قدمها اثناء مساعدتهم في الدخول الى التراب الليبي و رفض يوسف باشا تعويض هذا الأخير و رد على حمودة باشا ان السند وقع في عهد أخيه و ان قيمة السند دفعت من طرف أهالي غدامس و اخذ الطرفين يستعدان للثورة لولا انشغال حمودة باشا بثورة الجند سنة 1811م لكن العلاقات توترت بين البلدين وتأزمت أيضا مع جيرانه عند قبوله لمشروع محمد علي باشا و تحالف هذا الأخير مع فرنسا

ضد داي الجزائر حسين باشا بالمقابل عزز يوسف باشا القرمانلي علاقاته مع فرنسا خصوصا بعد اعتلاء ال بوربون الحكم و على اثر ذلك طالبت بريطانيا بتطبيق بنود معاهدة اكسلا شابيل التي لم يحترمها يوسف باشا و المتضمنة القضاء على القرصنة البحرية و تجارة الرقيق و واصل هذا الأخير في سياسة القرصنة تجاه السفن الدنماركية و الإيطالية و جاءت الحملة الإنجليزية بقيادة اللورد اكسموث لإرغام ولايات الشمال الافريقي الى تطبيق هذه المعاهدة

كما حاولت الولايات المتحدة الامريكية الحصول على بعض الامتيازات و حاولت القوة البحرية الامريكية السيطرة علة الاسطول الليبي ففشلت في مسعاها فقام الامريكيون باستمالة احمد بك في مصر اخو يوسف باشا و قدموا له مدينة بنغازي لكنهم كانوا يتسترون تحت الراية البريطانية و الفرنسية و الإيطالية و بعد فقدانهم للمساندة الاروبية أرسلت الوم ا قناصلها الى الشمال الافريقي لكن شعبيتهم لم تكن كشعبية القناصل الاروبيين و قام يوسف باشا بطرد القنصل و حرق العلم الأمريكي و اضطر الكونغرس الأمريكي الى تحضير حملة نحو ليبيا وكان الهجوم سنة 1801 م و لم يستطع يوسف باشا المقاومة فانقسمت ليبيا الى قسمين واحد مساند لاحمد باشا و الثاني ليوسف باشا القرمانلي مما اضطر الى عقد الصلح وتحصلت أمريكا على امتيازات كبيرة من بينها سلامة سفنها و تفضيل قنصلها على القناصل الأخرى تمت المعاهدة بين الطرفين و تعرضت الولاية لفساد كبير بالإضافة البنود اتفاقي اكسلاشابيل التي كانت مجحفة في حقه بقضائها عل اكبر مورد للولاية و هي القرصنة البحرية ولتعويض الخسارة ارهق الأهالي بالضرائب وجراء ذلك أعلنت القبائل الثورة و العصيان كمدينة فزان بالضافة الى انتفاضة الكراغلة و لم يستطع يوسف باشا مواجهة الاحداث فاعلن عدم قدرته في تحمل أعباء الحكم بسبب مرضه و كبر سنه و أوضح للعلماء و الاعيان بالتنازل لأفضل ابناءه علي و اخاه إبراهيم قائدا للجيش سنة م و بعدها ارسل برسالة الى السلطان يبرر له فيها عن الأسباب التي اجبرته على التخلي عن الحكم لابنه علي

اعلن علي باش القرمانلي فور تسلمه الحكم رغبته في تطبيق العدالة و توطيد الامن و الاستقرار و حاول اجراء مصالحة بين الأطراف المتنازعة لكن الثائريين رفضوا الصلح و ارسل مفرزة عسكرية الى منطقة المنشية و الساحل لإخماد الثورة و استمر النزاع داخل الاسرة القرمانلية و انقسمت البلاد الى قسمين قسم مؤيد لعلي باشا و قسم اخر لابن أخيه محمد بك و في سنة قدم شاكر افندي الى طرابلس حاملا فرمان تولية علي باشا على ليبيا و اجتمع شاكر افندي مع الثوار و اخذ منهم رسالة الى السلطان كما اخذ لرسالة من علي باشا و قدم الرسالتين الى الصدر الأعظم و بعد

اجتماعه مع كبار الدولة اتخذوا قرار إعادة الولاية الى الإدارة المباشرة للدولة العثمانية و في سنة وصل الاسطول الى طرابلس الغرب و عهد الى مصطفى نجيب باشا تسوية الأمور و انهاء حكم الاسرة القرمانلية و إدارة الولاية و توطيد الامن و الاستقرار و قام هذا الأخير بتوقيف علي باشا و عقد اجتماعا بجامع طرغوث ريس و تلى الفرمان السلطاني القاضي بإزالة الاسرة القرمانلية و دخول ليبيا في مرحلة أخرى و هي فترة الباشوات

المحاضرة الثالثة عشر: عهد الباشوات في ليبيا 1835 /1911

امتد عهد الباشوات ستة و سبعون سنة تولى خلالها إدارة الولاية ثلاثة و ثلاثون واليا و لم يكن ولاة هذا العهد افضل من سابقيهم من الولاة حيث عمل مصطفى نجيب بعد اعتقاله لعلي باشا القرمانلي على الاهتمام بالولاية وجمع اعيان المدينة و وجهائها و الأهالي في مسجد طرغوث ريس للاطلاع على رغباتهم فشكل لجنة مصالحة برئاسة الحاكم الشرعي احمد البوغازي مع خمسة أعضاء و كلفهم على حفظ الامن و فرض العقوبات و معاقبة المخالفين للقانون و لاحق محمد القرمانلي– محمد بك – و قتله ونفى اخوه الى جزيرة مالطا و قضى على بعض زعماء الثورة ضد النظام العثماني و في سنة عزل مصطفى نجيب باشا و خلفه محمد رائف هذا الأخير لم تدم ولايته الا سنة واحدة نتيجة الثورات المحلية التي عمت المدن الليبية و تحميل الصحافة الدولة العثمانية مسؤولية ذلك جراء ذلك كلفت طاهر باشا سنة 1836 لولاية طرابلس الغرب فقام بالقضاء على الثورات المحلية في تاجوراء و بنى قصر الحكومة في مصراتة و دار خاصة بحريم الولاية في طرابلس و كانت له سياسة حكيمة مع الأهالي و وضع طريق للقوافل التجارية و التي كانت سابقا تمر بالسواحل اما الشركات الأجنبية فلم تحضى بالتسهيلات التي حضيت بعا القوافل التجارية

وفي سنة 1837 م عين الجشمه لي حسن باشا واليا عل ليبيا و قد عم الوباء في الولاية و كان له نتائج وخيمة على المنطقة و اعتمد في البداية سياسة الين مع الثائريين لكن بعدها لحا الى العنف وجراء ذلك زادت الهوة بين الأهالي و الولاة العثمانيين لذلك استدعي من الباب العالي في السنة الموالية و نصب مكانه علي عشقر باشا الذي فتح باب التفاوض مع المتمردين و بفضل حنكته السياسية تمكن من الزام عدد من القبائل الثائرة بالطاعة و استأنف العداء بعدما رفضت القبائل الثائرة دفع الجزية و في سنة 1842 م خلفه محمد امين باشا و عدت ولايته من اكثر الفترات هدوءا و استقرار و هذا ما ساعد على انجاز مشاريع عمرانية و اقتصادية خلدت اسمه في تاريخ ولاية ليبيا الحديثواستمر تنظيمه الإداري حتى سنة 1911 م ووفر إمكانيات كبيرة لمعالجة داء الطاعون

و ما يشهد فقط في عهده انتفاضة قبائل الجبل سنة م بعد طرد زعيمهم الى مدينة بورصة و في سنة م عزل محمد امين باشا و عين مكانه محمد رائف باشا كان حكيما و عادلا في تطبيق النظام و لاحق الثائرين كما ظهرت أيضا فئة المتمردين و الثائرين في الجنوب و في سنة م عين احمد عزت باشا واليا على البلاد و يعد من اكثر ولاة العهد العثماني عدلا و حكمة حيث عمل بالاهتمام بالناحية العمرانية و الزراعية و وزع المعونات السلطانية و قام بإحصاء السكان مما اثار مخاوف الأهالي و الباب العالي اسفر عن صدور فرمان سلطاني سنة م يقضي بتعيين مصطفى نوري باشا حيث اخذ هذا الأخير اخماد الثورات الداخلية وفي سنة م عادت الثورات و عمت الفوضى في الولاية في أواخر سنة م عين عثمان باشا و ما ميز عهده قضائه على مثيري الفتنة و الثورات و عم الهدوء في الولاية و خلفه احمد عزت باشا للمرة الثانية و عمل على توفير الامن و الاستقرار وتوفير أيضا المرافق العمومية و تسهيل الممارسات التجارية الداخلية و الخارجية وفي سنة م عين الوزير محمد نديم باشا ووصف بصاحب العقل السديد و الراي الصائب و ادرك الولاية تعاني من فقر فوفر المساحات الزراعية للاستثمار الزراعي و زراعة الزيتون خصيصا و الذي كان يجلب من تونس و وزع الوظائف و المناصب الإدارية بحكمة و نظم البلاد في جميع المجالات

ومن 1882/1864 م عين عليها ما يزيد عن اثنى عشر واليا تميزت الفترة بقصرها و منهم من عين لمرتين و يعد المشير علي رضا باشا من ابرزهم نشاطا و قدم مساعدات أيضا للفلاحين و اهتم بالزراعة و الصناعة و أيضا قطاع البريد

المحاضرة الرابعة عشر : تاريخ تونس الحديث

تجربة الحكم المباشر 1594/1574

انطلقت الفترة العثمانية في تونس سنة 1574م حيث حول الموفد العثماني سنان باشا تونس الى ايالة خاضعة لمركز الإمبراطورية العثمانية و عادت السلطة العليا الى الباشا الذي يمثل السلطان مع الاستعانة بضباط الجيش الانكشاري الذين شكلوا مجلس الديوان و القاضي افندي الحنفي الذي تولى النظر في المسائل القضائية و الدينية و قد طبع هذا النظام سمة عسكرية طاغية نظرا لموقع البلاد المجاور للقوى النصرانية الأوربيةو لم يفرض الباب العالي اتاوات مالية منتظمة على غرار الايالات المشرقية و قد كان لاسراف المستفيدين من هذا الأسلوب العثماني المباشر في ممارسة الحكم وتحويلهم على تواطؤ أعوان الإدارة المركزية بالاستانة معهم في عمليات نهب ثروات البلاد دورا حاسما في دخول العناصر السفلى من ضباط الاوجاق الانكشارية أي الدايات في حركة تمرد

سنة 1591 م استهدفت تصفية كبار الضباط او البلكباشية و اساء حكم عسكري جماعي لم يعمر سوى بضع سنوات انفرد على اثره عثمان داي بالسلطة بعد ان تعهد بلعب حلقة الوصل بين الاتراك و مصالح أصحاب البلاد

عهد الدايات :

نجح عثمان داي 1594 م الذي استفاد من ثقة الانكشارية و اتساع ثروته و ساهم في التجهيز للقرصنة البحرية وانفرد بالحكم و سن القوانين و حصن البلاد و نشط الحياة الاقتصادية بالمدن والارياف مشجعا وفود المماليك و المهاجرين الاندلسيين و قد تواصل هذا الرخاء النسبي مع خلفائه المباشرين طيلة النصف الأول من القرن السابع العاشر مع يوسف داي 1610 / 1637 م و اسطا مراد 1637/ 1640 م و احمد خوجة 1640 /1648 م و يعزى ذلك في ارتفاع مردود القرصنة البحرية الذي استفاد من الصعوبات التي واجهتها اروبا خلال حرب الثلاثين سنة 1618 /1648م كما عاينت هذه المرحلة تباينا في المصالح بين حكام اوجاق الغرب الثلاثة و اتصل ذلك بمالة ضبط الحدود مما ساعد على تشكل المجال الترابي لكل ايالة

العهد المرادي :

انطلق من حكم وراثي انطلقت سلالته من أصول كورسيكية نسبة الى جزيرة كورسيكا ويدعى المؤسس مراد كورسو امتلكه رمضان باي سنة 1538/ 1613م وهو اول من تولى قيادة المحلة ذلك الجهاز الجبائي والعسكري الموروث عن الحفصيين يجمع ضرائب مفروضة على دواخل البلاد وقد تمكن كورسو من قيادة المحلة خلال عشرينيات القرن السابع عشر وقام بتوريثها لابنه الوحيد محمد بن مراد باي المعروف بحمودة مكتفيا بمنصب الباشا الذي جدد في طلبه من الباب العالي وتحصل عليه سنة 1631 م

سلك المراديون سياسة ملكية اعادت الحياة للتقاليد السياسية الحفصية فقد توارثوا خطة قيادة المحلة واعتمدوا على مداخيل الجباية وانفتحوا على رؤساء التجمعات الداخلية ومتنوا روابطهم المصلحية بهم وتحالفوا مع عدة قبائل ذات تقاليد عريقة في الخدمة المخزنية مثل قبيلة دريد وذلك لإخضاعالقبائل الخارجة عن سلطة الدولة وبذلك تراجعت سلطة الدايات لتقوم سلطة البايات المراديين

شهد النظام المرادي خلال الربع الأخير من القرن السابع عشر ازمة حادة تضافرت على تعميقها عدة عوامل اقتصادية واجتماعية نذكر من بينها تراجع المبادلات وتدني الإنتاجوظهور المجاعاتوالأوبئة من سنة 1686/1676 م واندلاعالصراعات الداخلية التي اججها تنافس الاخوين محمد وعلي ابني مراد الثاني للانفراد بالحكم و قد تسببت تلك الازمة الحادة في اعلى هرم السلطة في تدخل اوجاق الغرابة أي الفيالق العسكرية الخاصة بإيالة الجزائر و يتعلق الامر بانكشارية الجزائر و قسنطينة أساسا في ثلاثة مناسبات و ذلك خلال اقل من عقدين من الزمن في سنوات 1705/1694/1686م و استفحلت الفوضى نتيجة لسياسة الباي مراد الثالث سنة 1702/1699 م المزاجية و الدموية و قد استغل اغا الصبايحية داخل الوجق إبراهيم الشريف تلك الفرصة لإزاحة جميع افراد البيت المرادي و إعادة الحكم بعد استئصالهم بيد ممثلي الوجق التركي

العهد الحسيني:

الحسينيون سلالة من البايات حكمت في تونس سنوات 1957/1705 م مقرها تونس قصر الباردو كان مؤسس السلالة الحسين بن علي تركي 1735/1705م الذي ينتسب والده الى مدينة كنديا بجزيرة كريت اليونانية استقر والده سنة م و انخرط في الخدمة بالجيش الانكشاري متزوجا من امرأتين تنتسبان الى فصيلتين بدويتين محليتين هما بني شنوف و شارن فكان ابناه حسين ومحمد كورغليان محسوبان على الاتراك و قد دخل حسين بن علي في خدمة البلاط المرادي صغيرا وتقلد عدة مناصب كخزنة دار اغا الصبايحية وقايد الاعراض كاهية للباي ثم قائدا على فرقة الخيالة في الجيش العثماني بعد اضطراب الأوضاع السياسية في تونس استولى الحكم على حساب المراديينبعد مقاومة اتراك الجزائر بعد وقوع الباي إبراهيم الشريف في اسر عسكرهم اخذ يستقل الامر حتى أصبحت دولته كيانا قائما بذاته على حساب الاتراك العثمانيين هذا وقد نجح في توطيد حكم السلالة الجديدة بإحداث توازن سياسي و اداري بين مختلف العناصر الفاعلة في البلاد من كورغليين و اعيان و اتراك الذين اشركهم في الاستفادة من مخزنه في استغلال خيرات البلاد عن طريق الوكالات و الوظائف و المناصب السامية غير ان تطويره لسياسة التجارة مع البلدان الأوربية خلال عقد معاهدات مع فرنسا سنة 1728/1710 م و بريطانيا سنة 1716 م و اسبانيا سنة 1720 م و النمسا سنة 1725 م وهولندا سنة 1728 م قد دفعه الى ممارسة الى ممارسة سياسة المشترى المتمثلة في الحصول على جانب من المنتوج الزراعي بأسعار متدنية و ذلك قصد الاستفادة من بيعه الى التجار الأجانب و هو ما اثار غضب سكان البوادي و جعلهم يقفون في

صف ابن أخيه علي باشا بمجرد قيامه ضده بعد ان تراجع عن تعيينه وليا للعهد لفائدة ابنه محمد الرشيد

أدت الحروب العائلية التي عرفتها دولة الحسنيين في تونس من 1728 الى 1756 م في عهد ابن اخ المؤسس علي باشا سنة 1756/1735 م الى غزو البلاد سنة 1756م ثم قيام وصاية على تونس من طرف حكام الجزائر – دايات الجزائر – حيث ثار ولي العهد المخلوع ضد عمه و التجا الى جبل وسلات مع حلول شهر فيفري سنة 1728 م و انقسمت البلاد الى شقين متنازعين الأول حسيني مع الباي حسين بن علي و قسم ثاني مع ابن أخيه و ترتبط الاحداث بعدة أسباب منها التركيبة المجزئة للمجتمع و تقاليده القبلية المتواصلة و تأثر الجهاز السياسي للدولة بهذا الواقع المحلي تبعا لمحدودية تجذره مع سياسة الباي حسين الاستغلالية التي أخطأت في تقييم غضب سكان المناطق الداخلية و لم يتوصل علي باشا الى إزاحة عمه الا بمساعدة الاتراك دايات الجزائر مقابل دفعه غرامة مالية هامة كما ان انفراده بالسلطة و اعتمد نفس الأساليب التي اضعفت سلفه لذلك استغل أبناء حسين بن علي محمد الرشيد و علي باي خروج ابن الباشا عي يونس عن طوع والده سنة 1751 م لاستعادة الحكم بدعم من عسكر الجزائر

خلفت الحرب الاهلية عدة نتائج خاصة منها عودة الانقسام وتعدد التدخلات الأجنبية منها اتراك الجزائر سنوات 1705–1735–1746–1756م واتسمت بفضاعتها الشديدة وارتبطت بها مصير حكام البلاد بمصير محكوميهم واختلافهم عن حكام الجزائر

استعادت الدولة عافيتها اثناء عهد علي باي بن حسين سنة 1782/1759 م ثم حمودة باشا بن حسين بن علي سنة 1814/1782 م سميت هذه الفترة بالفترة الذهبية و استكمل استقلال تونس سنة 1807 م و أصبحت دولة كاملة السيادة بدأت في نفس الفترة عملية تعريب البلاد من خلال احياء الثقافة كما تم ادخال نظام تعليمي أشرفت عليه الدولة بعد ان قامت فرنسا باحتلال الجزائر سنة 1830م حيث أصبحت تونس تحت رحمة القوى الأوربية كما اصبح اقتصادها مرتبطا بها اكثر وحاول احمد باي ثم محمد الصديق بن حسين القيام بإصلاحات على الطريقة الأوربية

عهد الأمان:

مستوحى من التنظيمات العثمانية الخيرية المتمثلة خاصة في مرسومي همايون و شريف كلخانة تضمن عهد الأمان الذي اعلنه محمد باشا باي يوم 9 سبتمبر سنة 1857م جملة من الحقوق و

المبادئ السياسية و الاجتماعية وردت ضمن احدى عشر مادة من اهم ما جاء بها مبدا المساواة امام القانون و الجباية كما اقر عهد الأمان حرية ممارسة الديانات و حرية التجارة و سمح للأجانب امتلاك العقارات بعد ان حرموا من ذلك في عهد حمودة باشا الحسيني و قد جاء عهد الأمان في مجمله كإجراء سياسي يوفر الامن لسائر السكان و يضع حذا للاستبداد و الظلم و التفرقة بين سكان الايالة او المملكة التونسية و لما تبين لقناصل الدول الأوربية من جهة و للبعض من المصلحين أمثال لحمد ابن ابي الضياف و خير الدين باشا محدودية عهد الأمان دفعوا محمد الصادق باشا باي الى اصدار الدستور

دستور 1861 م:

اول دستور في التاريخ العربي الإسلامي تولت لجنة من رجال الدولة وبعض العلماء اعداده وأعلن عنه محمد الصادق باي يوم 29جانفي سنة 1861م وحدد يوم 26افريلمن نفس السنة كتاريخ ابتداء العمل به ولقي الإعلان استحسان النخبة التي سعت من خلاله الى تجسيد التنظيمات السياسية الأوربية واصلاح نظام الحكم بتونس كما سعت الدول الأوروبية وعلى راسها فرنسا وإنجلترا من وراء حث الباي على هذه الإصلاحات الى ضمان مصالح جالياتها بتونس وفتح أسواق البلاد لبضائعها ورؤوس أموالها

احتوى الدستور على 11 فصلا حددت حقوق وواجبات العائلة المالكة والوزراء والموظفين والرعية كما اقر مبدا الفصل بين السلطات الثلاثة ونظم العلاقات بينها فأعطى السلطة التنفيذية للباي لكن جرده من عدة حقوق كالتصرف في أموال الدولة و ابح الباي مسؤولا امام المجلس الأكبر الذي بوسعه خلع الباي اذا خالف القانون ام السلطة التشريعية فجعلها الدستور مشتركة بين الباي و المجلس الأكبر الذي يتألف 60 من عضوا ثلثيه من اعيان البلاد و الثلث الاخر من رجال الدولة و للمجلس الأكبر النظر في ميزانية الدولة و له مراقبة الوزراء و محاسبتهم اما السلطة القضائية فقد أصبحت مستقلة عن الباي و أسندت الى 10 مجالس جنايات و احكام عرفية بمثابة المحاكم الابتدائية و مجلس التحقيق بتونس العاصمة بمثابة محكمة استئناف و أسندت مشمولات محكمة التعقيب الى المجلس الأكبر انبثق عن الدستور احداث مجالس كمجلس التجارة و مجلس الحرب و مجلس الضبطية – مجلس الحكم في الجنايات الخفيفة –

ابتداءا من سنة 1869 م أصبحت الدول الأوروبية تتدخل مباشرة في تدبير الشؤون المالية للدول كما تم تعطيل الإصلاحات السابقة و في سنة 1881 م و بموجب اتفاقية الباردواأصبحت تونس

تحت الحماية الفرنسية و تأرجحت سياسة البايات بين الاملاءات الفرنسية و رغبتهم في دعم المطلب الشعبي و المتمثل في الاستقلال و كان الحزب الدستوري يتزعم القوى الشعبية و قام الفرنسيون سنة 1943 م بخلع الباي منصف باي بن الناصر باي بعد ان ابدى نزعة وطنية ومع قيام الجمهورية سنة 1957 م قام لحبيب بورقيبة بدوره بخلع اخر البايات الحسينيين الأمين باي بن محمد لحبيب 1957/1943 م

قائمة البايات

حسين بن علي 1735/1705–علي باشا 1756/1735– محمد الرشيد بن حسين 1759/1756 –على باي بن حسين 1782/1759 –حمودة باشا بن علي 1814/1782– عثمان بن علي 1814/1814– محمد باي بن حمودة 1824/1814– حسين باي بن محمد1835/1824– مصطفى باي بن محمد 1837/1835– احمد باي بن مصطفى 1855/1837– محمد باي بن حسين 1859/1855– محمد الصادق بن حسين 1882/1859–على باي بن حسين 1902/1882– محمد الهادي باي بن علي 1906/1902– محمد الناصر بن محمد باي 1922/1906– محمد الحبيب 1929/1922 – احمد باي بن علي باي 1942/1929– منصف باي بن الناصر باي 1943/1942– الأمين باي بن محمد الحبيب 1957/1943